

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

على جزيرة زنجبار وأثره على الدعوة الإسلامية

إعداد الأستاذ / عبد الحق مياحي تهامي

الإهداء

إلى بناء حضارة الإسلام وحاملي مشعلها ولوائها في  
مشارك الأرض ومغاربها من بعثة المصطفى الكريم  
صلى الله عليه وسلم على يوم القيامة

إلى الشهداء الذين سكبوا دماء زكية طاهرة لتتحول  
إلى ري غدقا ترتوي به أيكة الإسلام الوارفة الظلال

إلى شموع الهداية التي تحترق حتى تضئ للبشرية  
التائهة درب الحرية وسبيل الكرامة وطريق الحضارة  
والسمو والفضيلة والعزة من غير غطرسة والتسامح  
من غير ذلة أهدي هذا المجهود المتواضع

## بسم الله الرحمن الرحيم

**التمهيد :** الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على الحبيب  
المصطفى ورضي الله تعالى عن أصحابه المصطفين لحمل  
. رسالة المصطفى المجتبي ، فبلغوا بها ما بلغت الشمس والقمر  
أما بعد : لقد جبل الإنسان على الرحلة والانتقال من مكان على  
مكان هذا الترحال والتجوال فرضته عليه ظروف الحياة واقتضاه  
البحث عن وسائل العيش الكريم أحيانا كما كان للظروف  
السياسية و الصراع على السلطة ونشوب الحروب الطاحنة  
واندلاع الفتن القاتلة إسهام مباشر في الرحلة والفرار بالنفس  
والمال والعرض بحثا عن الأمن والاستقرار .ومن خلال هاتين

المسلمتين كان الانتقال العربي أولا إلى سواحل القارة الإفريقية وأدغالها . ولما أكرم الله العرب بدين سماوي خاتم لجميع الرسالات والشرائع السماوية حملوا قبسا من أشعة نوره الوهاج للبشرية الحائرة في أصقاع المعمورة و مجاهيل الدنيا ، وكانت القارة الإفريقية واحدة من تلك البلاد التي اصطلت بذلك القبس واهتدت بأشعة ذلك النور إلى صراط العزيز الحميد . ثم جاءت مرحلة الفتن والتطاحن الداخلي لأسباب غالبيتها سياسية ، وأخرى تجارية اختارت مجموعات من عرب عمان وحضرموت اللجوء إلى شواطئ شرق إفريقيا من المحيط الهندي ، هذه الأرض الأرض البكر التي لم تسبق إليها حضارة وديانة سوى حضارة الإسلامية ودين التوحيد فلم ينس أولئك الوافدون رسالتهم الخالدة وإن كانت ظروف أخرى هي التي ألجأتهم إلى تلك القارة فتكونت دولا عربية إسلامية وممالك امتدت آخر أمرها من منطقة دلفا دو جنوبا إلى رأس غردا في شمالا بل إلى بندر عباس من بلاد الفرس حملت معها قيما حضارية غلب عليها التحاور والتجاوز والامتزاج وندر فيها التناحر والتدافع والتوافق طابعها العام التسامح والتراحم ولم يستعمل السيف إلا نادرا حينما تدعو ضرورة الدفاع عن الذات وحماية الكيان كتلك المرحلة التي شهدت تعصبا برتغاليا مسيحيا لانظير له ضد كل ما هو مسلم بدأ بمسلمي الأندلس ليصل لهبه ولفحه إلى مسلمي داخلية أفريقيا من خلال حركة الكشوف الجغرافية ذات الأبعاد الدينية والاقتصادية

الحضارة الإسلامية التي تأسست في شرق إفريقيا لم تلغ خصائص الشعوب ولا طبائع النفوس إلا ما كان منها متعارضا تعارضا صريحا مع قيم التوحيد وخصائص التشريع ومن ثم أمدت اللغات المحلية بمادة لغوية أكثر غزارة واكبت من خلالها تلك اللغات جميع التطورات وتعايشت الحضارة الإسلامية مع جميع الأجناس والجماعات بمختلف آرائهم الفكرية والعقدية وشملتهم جميعا رحمة الله بالبشرية واستظلوا جميعا برحمة الإسلام وعدالته الوارفة الظلال

إلا أن الحضارة الإسلامية في إفريقيا لم تأخذ حظها الأوفر من الدراسة والتأريخ وبحث وسبر أغوارها إلا نادرا وما ذكر من تنف في مطولات الأسفار من التأريخ والأدب على عكس نظيراتها في بلاد الأندلس والهند وبلاد ما وراء النهر فكان هذا البحث وهو جهد المقل محاولة من طالب علم -اختصاصه الأساسي الفقه وأصوله - أقول محاولة لتسليط الضوء على صراع الحضارات على شرق إفريقيا بشكل عام وزنجبار

بشكل خاص إذ أن هذه الأخيرة كانت رافدا من روافد الحركة العلمية والسياسية والاقتصادية الإسلامية وكانت حاضرة من حواضر المسلمين لاتقل أهمية عن بغداد ودمشق ومراكش والقاهرة والأستانة .

ولعل هذه المحاولة هي نتاج ما لحظته من عزوف الكثير من الباحثين في تاريخ الحضارة الإسلامية عن الاهتمام بتاريخ الحضارة الإسلامية في هذه المنطقة واهتمام مبالغ فيه من قبل الغربيين بتاريخ المنطقة وتراثها تحقيقا وتأليفا ولكن لايجب أن نتنظر منهم الإنصاف فيما يكتبوا ولا نتبرم بما يقولوا ويقرروا إذ أننا تركنا المجال مفتوحا أمامهم فلا غرو أن تكون أقلامهم إما حاقدة ظالمة وإما متجاهلة متنكرة ولا تذكر من الحقائق إلا ما يخدم مصالحها وأهدافها ويصب في أنهار أفكارها وتوجهاتها .

وإنه من لمن الظلم بمكان أن نغمط التجربة حقها أو أن نحملها أكثر مما تحتمل إذ أنها قامت وشمس الحضارة الإسلامية آخذة في الغروب على أقل تقدير لمدة من الزمن قد تطول أو تقصر وفق سنة الله في الأمم والحضارات وبحسب توفر عوامل النصر والهزيمة والمد والجزر والارتفاع والانخفاض في كل تجربة كيف ؟ وقد قامت هذه الإمبراطورية الإسلامية مهما كانت أخطاؤها وبساطة أهلها والعالم الإسلامي يشهد انحسارا رهيبا أمام المد الصليبي الغربي إذ سقطت الكثير والعديد من دول العالم الإسلامي فريسة الاستعمار الغربي في حين كانت هذه الدولة العظيمة في السواحل الشرقية للمحيط الهندي تشهد أوجه عزها الثقافي والعمراني والسياسي والاقتصادي مما جعل دول الغرب تتنافس لإرضائها ونيل ودها و الفوز بالخطوة والمكانة لديها ومهما كانت دوافع هذه الدول الغربية من هذا التنافس فقد كانت تجربة رائدة ولو لبرهة من الزمن لم تطل على أقل تقدير باعتبار أعمار الأمم والحضارات ولهذا لانجد بدا من أن نقول أن انتهاءها وسقوطها أمر طبيعي جدا لأنه لايمكن عقلا ومنطقا أن تسمح القوى الاستعمارية ببقاء دولة عربية مسلمة ذات سيادة وهيبة في قلب إفريقيا وأي إفريقيا ؟ إنها بوابة التجارة العالمية والجسر الرابط بين الهند وإفريقيا والخليج العربي هذا إذا ما أضيف لذلك عامل الضعف وعدم الأخذ بأسباب التمكين المسيرة للعصر والفساد واللهث وراء تقليد الأجنبي بلا والمولاة الكاملة لدول تنربص بها ريب المنون في كل حين .

وأخيرا أتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساهم في تقويم هذا المجهود المتواضع وأني أسأل الله تعالى أن يجعله في ميزان الحسنات ويكتب له القبول وينفع به في مشارق الأرض ومغاربها

إنه قد ير سمع وإنه من لمن الظلم بمكان أن نغمط التجربة حقها  
أو أن نحملها أكثر مما تحتمل إذ أنها قامت وشمس الحضارة  
الإسلامية آخذة في الغروب على أقل تقدير لمدة من الزمن قد  
تطول أو تقصر وفق سنة الله في الأمم والحضارات وبحسب توفر  
عوامل النصر والهزيمة والمد والجزر والارتفاع والإنخفاظ في كل  
تجربة كيف ؟ وقد قامت هذه الإمبراطورية الإسلامية مهما كانت  
أخطاؤها وبساطة أهلها والعالم الإسلامي يشهد انحسارا رهيبا  
أمام المد الصليبي الغربي إذ سقطت الكثير والعديد من دول  
العالم الإسلامي فريسة الاستعمار الغربي في حين كانت هذه  
الدولة العظيمة في السواحل الشرقية للمحيط الهندي تشهد أوجه  
عزها الثقافي والعمراني والسياسي والاقتصادي مما جعل دول  
الغرب تتنافس لإرضائها ونيل ودها و الفوز بالخطوة والمكانة لديها  
ومهما كانت دوافع هذه الدول الغربية من هذا التنافس فقد كانت  
تجربة رائدة ولو لبرهة من الزمن لم تطل على أقل تقدير باعتبار  
أعمار الأمم والحضارات ولهذا لانجد بدا من أن نقول أن انتهاءها  
وسقوطها أمر طبيعي جدا لأنه لا يمكن عقلا ومنطقا أن تسمح  
القوى الاستعمارية ببقاء دولة عربية مسلمة ذات سيادة وهيبة في  
قلب إفريقيا وأي إفريقيا ؟ إنها بوابة التجارة العالمية والجسر  
الرابط بين الهند وإفريقيا والخليج العربي هذا إذا ما أضيف لذلك  
عامل الضعف وعدم الأخذ بأسباب التمكين المسيرة للعصر  
والفساد واللهث وراء تقليد الأجنبي بلا والمولاة الكاملة لدول  
تتربص بها ريب المنون في كل حين

زنجبار في 28- 2- 2005 الموافق ل 20-1-1426 هجرية

المؤلف

## صراع الحضارات على جزيرة زنجبار

**مقدمات أساسية للبحث** لقد عرفت البشرية منذ فجر

تاريخها الأول في هذه المعمورة الجريمة

### **المقدمة الأولى :**

الأصل أن الحضارات تتكامل وتتجاوز وتتأثر وتتأثر حيث إن الأصل في الحضارة البناء والتعمير من أجل رقي الأمم (1). ولكن انحراف أصحاب هذه الحضارات عن منهج التحضر يدفعهم لاتخاذ وسائل شتى لإنهاء الطرف الآخر، ومن ثم الاستفراد بالساحة وبحكم غريزة البقاء فان الطرف الآخر سيدافع عن كيانه ووجوده بكل الوسائل المتاحة وبكل الإمكانيات ، ومن هنا ينشا الصراع لا بين الحضارات ، وإنما بين أصحاب الحضارات ولعل هذا الصراع ينشا لسببين اثنين ، أولهما غياب الجانب الأخلاقي و الإيمان في المنهج نفسه ومن ثم يبيح أصحابه لانفسهم كل وسيلة توصلهم إلى الهدف ، وثانيهما هشاشة المنهج وعدم خضوعه لمسلمات العلم وقواطع العقل. مما يؤدي حتما الى عدم تقبله بلغة الاقناع مما يلجئ اتباعه إلى فرضه إما بلغة القوة والسلاح وهذا ما فعلته الحضارة الأوروبية بالشعوب المستعمرة في القرن التاسع عشر او فرضه بلغة الترغيب والتحفيز مستغلين فقر الأمم وفاقت المجتمعات، وهذا ما سلكه الغرب المسيحي اليوم مع الأمم الأخرى .

### **المقدمة الثانية :**

إن شرق إفريقيا والتي منه جزيرة زنجبار كان جزءا لا يتجزء من شبه الجزيرة العربية وكان كل منهما يشكل رقعة جغرافية واحدة حتى انفلقت قشرة الأرض فيما يعرف بالحركة الجيولوجية للأرض, فانفصلت القارة الأفريقية عن المنطقة العربية , وكان البحر الأحمر هو ذلك الفاصل المائي بين المنطقتين, ومن أكبر الأدلة على هذا الكلام ذلك التشابه الكبير والواسع بين شعوب المنطقة, تشابها عرقيا وثقافيا ولغويا, وهذه الشعوب إما ناطقة باللغة الحامية والكوشية وتنتشر على السواحل الشرقية والشمالية لإفريقيا, وأما ناطقة باللغة السامية (كالعرب والامهرة والتقري)(2) إذ نجد في اللغات الحامية الكثير من الكلمات العربية مع بعض التغيرات في مباني الكلمات.

### **المقدمة الثالثة :**

إن الصلات بين إفريقيا والعرب اقدم من صلات الأوروبيين بالقارة عموما حيث تشير العديد من المصادر التاريخية للوصول العربي المبكر إلى هذه المنطقة إذ يذكر صاحب كتاب الرحلة الدائرية وصفا دقيقا لعلاقة العرب بهذه المنطقة (شرق أفريقيا) حيث يذكر أن السفن الإغريقية الرومانية التي كانت تجوب عباب المحيط الهندي لغرض التبادل التجاري كانت تمر على المدن التجارية في شرق أفريقيا التي لم تكن خاضعة لسلطة مركزية واحدة إنما يحكم كل مدينة حاكم يتبع إداريا لسلطات الدولة القوية في جنوب الجزيرة العربية ويضيف قائلا: انه من المؤلف رؤية التجار العرب في مناطق الساحل الشرقي لإفريقيا)(3) . وهو الخبر نفسه الذي أكده صاحب كتاب دليل الملاحة في البحر الإترتي حيث يقول " إن منطقة شرق إفريقيا خاضعة بصورة غير مباشرة للدولة العربية ذات النفوذ القوي يديرها أمير معافر من

اليمن ويقوم بها تجار مهاجرون من جنوب الجزيرة العربية) (4) بل ولعل الوصول العربي إلى الساحل الشرقي من القارة اقدم من وصول قبائل البانتو التي استوطنت المنطقة المعروفة اليوم (تنزانيا) ويدعم ذلك اسم الميناء (راباتا) ذو الاشتقاق العربي (ربط) او مربوط السفن وكان السبب في هذا التواصل العربي الشرق الأفريقي تلك الظاهرة المعروفة بالرياح الموسمية , حيث كانوا يستغلون هبوب الرياح الموسمية لركوب البحر واكتشاف المجهول ولتسويق المنتجات المحلية وجلب المنتجات الغير متوفرة عندهم من المواطن المكتشفة بل وقد أدت تلك الظاهرة إلى نزوح سكاني كان يتم بصورة منتظمة ويعكس ذلك الوجود الأفريقي في شبه الجزيرة العربية الغزو الحبشي لليمن وكان له الأثر الأكبر في وجود علاقات عربية إفريقية متينة على جميع الأصعدة , كما حفظ لنا التاريخ وجود رموز أفريقية في البلاد العربية (بلال الحبشي رضي الله عنه ) وكان ذلك قبل الإسلام

### **المقدمة الرابعة :**

كان وصول المسلمين لشرق القارة واكتشاف مجاهيلها أسبق من وصول البحارة البرتغاليين والألمان المستعمرين ومن بعدهم الإنجليز, فلقد ذكرت الكتب والمصادر التاريخية أن المسلمين وصلوا إلى سواحل المحيط الهندي في القرن الثاني الهجري القرن السابع الميلادي , وذلك لما عصفت الفتن بدار الخلافة الأموية وخرج أبناء عباد بن عبد الجندلي على الخليفة عبد الملك بن مروان فلما خسروا معركتهم مع الحجاج بن يوسف الثقفي. اختاروا شرق افريقيا موطننا لهم وملاذنا مما أصابهم , وكان ذلك سنة 695 ميلادية الموافق ل 84 هجرية (5) , ولو أن الهجرة الإسلامية إلى شرق إفريقيا كانت مع بدايات ظهور



الإسلام, حيث هاجر المسلمون الأوائل إلى الحبشة قبل الهجرة النبوية, في حين لم ترسوا السفن البرتغالية بقيادة البحارة (فاسكو دي جاما) إلا في القرن الخامس عشر ميلادي سنة 1498م على شواطئ المحيط الهندي. وقد وجد فيها ممالك إسلامية كمملكة كلوة وممباسة وسفالة وغيرها من الممالك الإسلامية التي كانت ممتدة في إفريقيا شرقا وغربا وشمالا وجنوبا و كانت تزخر بال عمران والمعالم الحضارية والثقافية والرفاهية والاقتصادية والاجتماعية وقد امتزج هؤلاء المسلمون بالسكان الأصليين عن طريق التزاوج والمصاهرة , ولعل المؤرخ الأوروبي انصف حينما قال (انه قبل قدوم العرب إلى أفريقيا"ويقصد المسلمون" ولم نكن نعرف عنها الكثير, فنحن الأوربيين ندين بمعلوماتنا عن التاريخ المبكر لداخل القارة لفئة قليلة من المؤلفين والرحالة أهمهم: المسعودي, , والبكري , ويقوت, وابن بطوطة, وابن خلدون.) (6)

### **المقدمة الخامسة :**

إن الكلام عن جزيرة زنجبار وتاريخها العريق جزء لا يتجزأ من تاريخ الإسلام في شرق أفريقيا , بل عن دول الإسلام وممالكه في شرق أفريقيا ولعل ذلك راجع لكون زنجبار ولاية من ولايات دولة عمان في بعض الأحيان , أو لكون حكام زنجبار وان تفردوا بالملك والسلطنة فانهم جزء من أولئك العرب العمانيين الذين أقاموا ممالك في كل من بتة (patta ) وماليندي (MALINDI وكلوه وكان بينهم تعاون وتسامح وإخاء تارة وعداوة ونفور وشجار تارة أخرى. فمن ثم فان هذا البحث لا يهمل الكلام عن بعض أجزاء إفريقيا الشرقية, كما أن زنجبار أصبحت في عهد سعيد بن سلطان البوسعيدي عاصمة الإمبراطورية العمانية التي

امتدت من أرض عمان والخليج العربي بندر عباس من أقاليم فارس وحتى رأس دلفادو في أقصى شرق أفريقيا وداخلية البر الإفريقي مثل دودما, تانقا , وغيرها من المدن ن بل امتدت سلطنته لتصل إلى بعض أجزاء الهند

### **المقدمة السادسة :**

وهذه المقدمة بمقدار ما فيها من المرارة إلا أنها اعتراف بواقع أليم ومن جانب آخر هي شحذ للهمم المخلصة لاستدراك النقص وسد الفراغ المتمثل في أن تاريخ الإسلام في هذه المنطقة وتلك الصفحات الناصعة التي تركتها الحضارة الإسلامية في المنطقة وبل لتلك البصمات الواضحة والمتمثلة في بقاء الاسلام في هذه المنطقة متجذرا متعمقا بكل مقوماته ومكوناته الثقافية والاجتماعية والسياسية, رغم المحاولات الجادة لزعرته , كتب هذا التاريخ في مجمله بأقلام غربية نصرانية وما بين أيدينا عن تاريخ هذه المنطقة وبشكل تفصيلي من إنتاج علماء المسلمين قليل ونادر.

صحيح أن ابن بطوطة و الادريسي والحموي والمسعودي لم يغفلوا هذه المنطقة و أوردوا تنفا عن أخبارها , ولكنها لا تكفي بل كان الأولى أن يتفرغ علماء هذه المنطقة لتاريخ وتراجم سير علماء وقضاة المنطقة وإظهار إسهاماتهم الفكرية والفقهية في الحضارة الإسلامية والإنسانية بوجه عام ومع هذا فان كتاب جهينة الاخبار للشيخ سعيد المغربي يعتبر رافدا من روافد التاريخ لهذه المنطقة, إلا أن نزعة التمثه والانتصار للرأي وغمط الآخرين واضحة في كتابه جهينة الأخبار, ولعل في القرن الأخير ومع بداية الصحوة العربية الإسلامية وجدنا الكثير من الكتيبات والدراسات و الندوات التي تناولت هذه المنطقة بالدراسة . ولاتزال هذه

الظاهرة والمتمثلة في الاهتمام الغربي بتاريخ المنطقة وحضارتها  
متواصلة في مقال فتوروغياب عربي واسلامي كامل في مجال  
البحث والتنقيب وسير أغوار تاريخ هذه المنطقة ولعل مقر  
أرشيف زنجبار خير شاهد على ذلك حيث تراه يغص بالباحثين  
الاروبيين ويكاد يخلو من الباحثين المسلمين .

### جزيرة زنجبار الموقع والتاريخ

1- **الموقع** : زنجبار هي كلمة فارسية بمعنى الزنج , برأى ساحل الزنج , محرفة أصلها , بر الزنج , ويقال لها بالسواحيلية (انغوجاء) مركبة من كلمتين ( أنغو) بمعنى المنسف و( جاء) بمعنى امتلاء (7) .

وهذه الجزيرة واقعة بالمحيط الهندي , تبعد عن البر الافريقي تنجيقا مسافة 25 ميلا و 118 ميلا عن جنوب ممباسة (كينيا) و 29 ميلا عن شمالي دار السلام ونحو 2200 ميلا عن مسقط عاصمة عمان و 2500 ميلا عن بومباي , و 750 ميلا عن مدغشقر و 500 ميلا عن جزر القمر] و يبلغ طولها من أوسع نقطة منها 524 ميلا وعرضها من أوسع نقطة 24 ميلا] وأكثر مساحة

أرضها حجرية , وتصلح في أرضها الطيبة زراعة الأرز والطلح (الموز) والمهوغو وسائر الحبوب المقتاتة.

**II - التاريخ:** كانت تسمى جزيرة زنجبار في القرن الأول للمسيح ( منشونيا ) ولا يعرف لهذا الإسم معنى، ويقال أنها كانت جزءا من البر الافريقي (تنجنيقا ) بدليل أن الأشجار والحيوانات الضارية كالنمور و القردة و التماسيح الموجودة في البر الافريقي هي ذاتها الموجودة في زنجبار قديما<sup>(8)</sup> يؤكد ذلك ما هو موجود في متحف زنجبار من حيوانات محنطة مشابهة لتلك الموجودة في البر الافريقي إلا أن ثمة إختلاف واسع في عاصمة زنجبار علما أن الاتفاق حاصل بأن زنجبار الحالية ليست قديمة العهد ولم تعمر ذلك العمران الرائع إلا بعد نزوح البرتغال عنها .

كما أن ياقوت الحموي الجغرافي المسلم وهو من علماء القرن السابع الهجري، الثاني عشر ميلادي أشار في كتابه معجم البلدان إلى جزيرة أنغوجا و الجزيرة الخضراء، والأولى هي التي تسمى الآن زنجبار ويبدو أن عاصمة زنجبار سابقا كانت جزيرة تمباتو (tumbatu) حيث كانت هذه الجزيرة معاصرة لمنطقة كزمكازي التي بني بها أول مسجد أسس في القرن الخامس الهجري ومازالت آثاره قائمة إلى الآن، وفي محرابه كتابة بالخط الكوفي بتاريخ ذلك المسجد إلا أنه وجد في متحف زنجبار قطعة حجرية مكتوب عليها آيات قرآنية بالخط الكوفي أيضا أخذت من جزيرة تومباتو ذكر علماء الآثار أنها أقدم من تلك الموجودة في مسجد كزمكازي، مما يدل على أن وصول المسلمين إلى منطقة تومباتو أقدم من وصولهم إلى كزمكازي. ويقول الحموي في وصفه لأنجوجا :

(إنها جزيرة كبيرة في أرض الزنج حيث يوجد مقر ملك الزنج وتتجه إليه السفن جميع الجهات وقد انتقل حكامها إلى جزيرة أخرى اسمها تومباتو وأهلها مسلمون)<sup>(9)</sup> مازالت بجزيرة تمباتو (tumbat) آثار تدل على أنها كانت عاصمة لزنجان.

## **بداية الاتصال العربي الاسلامي والتكوين السكاني في زنجبار:**

تقطن جزيرة زنجبار مجموعة من السكان تتكون من أعراق وسلالات مختلفة نتيجة تزاوج المهاجرين العرب والشيرازيين مع السكان الأصليين والذين كانوا أصلاً وثنيين ، وكما أشرنا إلى أن بداية التواصل العربي الاسلامي كان في القرن الهجري الأول نهاية القرن السابع الميلادي في عهد عبد الملك بن مروان حيث كانت الحروب السياسية دائرة بينهم حيث فرّ هؤلاء بقيادة سليمان بن عباد من وجه عبد الرحمان بن سليمان الذي أوفده الحجاج للقضاء على ثورة أهل عمان فحمل سليمان بن عباد وأخوه وهما المعروفان (بابني الجلندي) ذرايهما وسوادهما ولحقا ببلد من بلدان الزنج (زنجان)<sup>(10)</sup> واستوطنوا مدنا على سواحل شرق إفريقيا، ثم جاءت الهجرة الثانية في القرن العاشر الميلادي (السلطان الحسن بن علي الشيرازي وأولاده) والذين ينسب إليهم تأسيس المدن والممالك في شرق إفريقيا وهناك هجرات أخرى في القرن نفسه حيث هربت مجموعة من سكان عمان إلى هذه المناطق نتيجة الخلافات السياسية<sup>(11)</sup> وهناك هجرات فردية من كل من الكوفة والبصرة العراقيتين حيث تنسب المخطوطات التاريخية في جزيرة تومباتو بناء مدينة مكوكتوني لشيخ عربي أسمه (يوسف بن علوي) .

ومن الهجرات العربية الهامة التي كانت لها بصمات واضحة في الحياة السياسية والاجتماعية في شرق إفريقيا هجرة الأسرة النبهانية في القرن الثالث عشر ميلادي<sup>(12)</sup> وهذه الأسرة أسرة حاكمة، وقد وجدوا تأييدا من المجموعات التي سبقتهم إلى هذه الجزر في الساحل الشرقي الإفريقي، وحازوا على الحكم في هذه المواطن وامتد سلطان هذه الأسرة من القرن الثالث عشر ميلادي وحتى الثامن عشر ميلادي ولعل مازال تأثير هذه العائلة الحاكمة في نشر الثقافة الإسلامية في شرق إفريقيا كما كانت هجرات يمنية من قبل الحضارة والتي بدأت في القرن العاشر الميلادي أي في القرن الرابع الهجري<sup>(13)</sup>.

ويذكر المغيري في جبهة الأخبار: أنهم كانوا عمودا فقريا في الدولة السعيدية أيام السلطان سعيد بن سلطان حيث تولوا القضاء، والجمارك، و الجندية وكانت هذه الجالية أهل حركة ومعرفة ومعاملة وتجارة<sup>(14)</sup> - ثم توالى الهجرات من عمان بعد الأستعمار البرتغالي، وتأسست دولة إسلامية قوية ذات أبعاد حضارية عظيمة وازدهرت هذه الدولة ازدهارا كبيرا التحمت بالدولة العربية الإسلامية في عمان بل أصبحت جزيرة زنجبار عاصمة لدولة عمان في عهد البوسعديين ( سعيد بن سلطان) ثم انفصلت عن عمان لتكون بعد ذلك دولة عربية مستقلة لما دب الخلاف بين أبناء السلطان. و ثم خلاف كبير بين اليمانيين و العمانيين في أيهم أسبق إلى شرق إفريقيا<sup>(15)</sup> - حيث أن الشيخ الجنيد إمام الجالية اليمانية وعالمها الجليل يشير في مذكراته الاسلام واليمانيون الحضارم بشرق إفريقيا إلى أن هجرة العرب اليمانيين كانت قبل هجرة العرب العمانيين<sup>(16)</sup> ثم أعقب هذه الهجرات العربية الهجرات الهندية التي كان لها أثر - وإن كان قليلا

في التركيبة السكانية في زنجبار- وأقول ( الأثر الضعيف ) ذلك لأن الجالية الهندية جالية منغلقة على نفسها لاتتزاوج مع السكان<sup>(17)</sup> الأصليين، وعليه فإن الدراسات الحديثة تشير إلى أن سكان الجزيرة الأصليين هم التمباتيون – والبمباويون- و قبيلة الأوخاديموا وتجمع روايتي الكولونال (colonel regdi) ومحمود حويري على أن التركيبة السكانية في الزنجبار بدأت بمجموعة من الشيرازين وبعض الشيعة الذين جاؤا إليها من الإحساء ثم الزنوج والعرب العمانيين واليمنيين<sup>(18)</sup> ومن يرى سكان زنجبار اليوم ليجزم بالامتزاج العرقي بين العنصر الزنجي و العنصر العربي.

فملاح الوجوه ولون البشرة هي ذاتها الموجودة في المناطق الجنوبية من اليمن وبعض الدول في الخليج العربي.

**ملاحظة:** ذكر فضيلة العلامة الجنيد أن الاسلام عرف طريقه إلى زنجبار في عهد سيدنا عثمان رضي الله عنه وذلك بشكل فردي ولعل ذلك من خلال هجرة بعض العرب من الحبشة إلى زنجبار<sup>(19)</sup>.

### **الدولة الإسلامية العظيمة في زنجبار:**

إن الكلام عن بداية الدولة الإسلامية في زنجبار لا يمكن أن يتصور إلا إذ أدركنا أن كلا من زنجبار والجزيرة الخضراء و مافيا وممباسا وكلوة وجزر القمر كانت في العهود السابقة للإستعمار الغربي رقعة جغرافية وسياسية واحدة وما هذه التسميات والتقسيمات إلا وليدة الإستعمار الغربي<sup>(20)</sup> فبداية الحكم الاسلامي في زنجبار خصوصا والشرق الإفريقي عموما بدأت مع بداية الهجرة الجماعية إليها، حيث اشترى السلطان حسن بن علي الشيرازي جزيرة كلوة من حاكمها الوثني و امتلكها مع أولاده، وكان أول من ملك البلاد ( يقصد شرق إفريقيا) منهم السلطان علي بن الحسين بن علي وذلك في أواسط القرن الثالث من

الهجرة النبوية وولى ولده محمد بن علي على مملكة، وبعد اضطراب الأمور وحدث الفتن خرج بعض ذرية السلطان علي بن الحسين من كلوة إلى زنجبار لطلب النصرة من سلطانها كما أن صاحب السلوة ذكر أن السلطان سعيد بن سلطان، سلطان كلوة ( وليس المراد هنا السلطان سعيد البوسعيدي ) حين قام منازعا في الملك فلما لم يكن له طائل، ترجح له أن يخرج من البلاد مهاجرا إلى زنجبار لطلب النصرة على سلطانهم . فلما وصل زنجبار وجد السلطان فيها هو السلطان حسن بن السلطان بن بكر، فطلب منه النصرة على كلوة فوعده بذلك<sup>(21)</sup> وبيدوا بامعان النظر أن هذه الجزر الواقعة في شرق افريقيا كانت عبارة عن سلطنات إسلامية على رأس كل سلطنة سلطان. ولكن الحال واحدة حيث دبت الخلافات و شبت الحروب بين الاخوة وأبناء الملة الواحدة والذي يؤكد هذا الكلام أن المسعودي قال في مروج أثناء الكلام عن هذه الجزر الواقعة في بلاد الزنج من المحيط الهندي (أن حكامها كانوا مسلمين) وذلك كان في القرن الرابع الهجري<sup>(22)</sup> ولكن رغم ذلك فقد شهدت هذه الدول وهذه السلطنات تطورا حضاريا في مجالات عدة على ذات النسق الذي كانت تعيشه المدن العربية ومدن الخليج العربي كما يحدثنا سبنسر ترمينجهام عن ذلك التأثير الحضاري في شرق إفريقيا عموما و زنجبار خصوصا ، بالحضارة الإسلامية فيقول: ( وكان الارتباط بحضارات الدول التي جاء منها المستوطنون الأوائل قويا شديدا فعمل الشعب الجديد على تقليد حياة مدن جنوب الجزيرة العربية ومدن الخليج العربي<sup>(23)</sup> .

علما أن هذه السلطنات كانت قائمة حتى القرن العاشر هجري في كل من زنجبار وممباسة و كلوة وسفالة وغيرها، وهو



القرن الذي غزى فيه البرتغاليون شرق إفريقيا وشهدوا على عظمة الحضارة الإسلامية الموجودة في هذه المدن والدول<sup>(24)</sup> كما أن سلاطين هذه الدول كانوا على إتصال بالسلطان محمود الغزنوي(1001 هـ) أشهر سلاطين الدول الغزنوية بالهند حيث يذكر المغيري أنه لما نزل (البرتغاليين) إلى ( ملند ) وهي مدينة كينية حاليا تلقاهم أهلها غاية التلقي و أعطوهم جميع ما يريدون ثم تركوا عندهم سبعة أنفس من النصارى وقالوا لهم: اثنان يجلسان عندكم وأربعة أرسلوهم إلى جزرات عند السلطان محمود ، فأما الأربعة الذين أرسلوهم إلى الهند فقد ختنهم صاحب الهند(محمود الغزنوي) وأسلموا<sup>(25)</sup> ولعل من أبرز تلك الأسر العربية الحاكمة في شرق إفريقيا في القرن السابع و الثامن الهجريين أسرة النباهنة و التي ملكت عمان ثم انتقل ملكها إلى الساحل الشرقي من إفريقيا عندما إحتدم الصراع بينها وبين بعض القبائل العربية في عمان.

حيث تذكر الروايات أن بته ( PATTA ) (منطقة في كينيا) قد حكمها الأمراء النباهنة، وأن عدد سلاطين النباهة الذين حكموا الساحل الشرقي في إفريقيا 32 سلطانا وكان أو ملكهم بين 500 و 600 هـ<sup>(26)</sup>.

### **بداية الصراع الإسلامي النصراني في جزيرة زنجبار ( الوجود البرتغالي):**

يعد الصراع الإسلامي المسيحي على جزيرة زنجبار امتدادا للصراع المسيحي في العالم وحلقة من حلقاته المبدوءة بالحروب الصليبية وإنهاء الوجود الإسلامي في الأندلس وانطلق هذا الصراع مع بدايات الاكتشافات الجغرافية والتي انطلقت من البرتغال بقيادة البحارة هنري الملاح حيث كانت الأطماع الاقتصادية تسيطر

على هؤلاء كما كانت رغبتهم ملحة في العثور على طريق آخر موصل للهند غير طريق البحر الأحمر، الذي كان تحت السيطرة الإسلامية ذات القوة و النفوذ ومن ثم كان لزاماً أن يشق البرتغاليون طريقهم إلى الهند مما جعلهم يحتكون بالوجود الإسلامي في السواحل الشرقية لإفريقيا ولكن لا يجب أن نفصل التفاف البرتغاليين حول سواحل إفريقيا واكتشافهم طريق الهند عن الأهداف الدينية والعقائدية، وحصرتها في الأهداف الاقتصادية البحتة ولعلنا سنسوق بين يدي هذا البحث من الأدلة القوية المتمثلة أولاً في النصوص الصريحة بالهدف الديني للحملات البرتغالية وهذه النصوص لعلماء غربيين قبل أن تكون لعلماء مسلمين و الإقرار سيد الأدلة ، وثانياً في تصرفات البرتغاليين وتصريحات حكاهم وأعمالهم البشعة ضد المسلمين مما يرجح البعد الديني في حملاتهم، فقد ذكر الأستاذ جستص استرانديس في كتابه الحقبة البرتغالية في شرق إفريقيا أن من بين الدوافع التي دفعت البرتغاليين للقيام بحركة الاكتشافات الجغرافية هي البحث عن طريق لايسيطر عليه المسلمون، وهناك دافع ثاني وهو البحث عن مملكة (القديس جون) التي كانت أحد الأحلام التي تراود البرتغاليين للتحالف معها ضد المسلمين، مما شجع الأمير هنري الملاح البرتغالي (والمعروف بتعصبه الديني) لخوض العديد من الحروب لاكتشاف سواحل إفريقيا، وهذه المملكة التي أمر الملك يوحنا قائد حملته بالتحالف معها للقضاء على المسلمين<sup>(27)</sup>.

ويؤكد المعنى ذاته المؤرخ البريطاني الشهير أرنولد تومبسي<sup>(28)</sup> قائلاً: (إن مصطلح الحروب الصليبية يطلق عادة على تلك الحملات العسكرية الغربية التي خرجت من أوروبا الغربية بتحريض من البابا و بركاته لتحقيق إنشاء مملكة مسيحية في بيت

المقدس أو لدعماها، أما في شرق إفريقيا فيمكن أن تسمى هذه الحروب حروب صليبية لأن المحاربين المشتركين فيها حسوا أنفسهم عن شعور و قصد أنهم يحاربون لمد حدود المسيحية أو الذود عن حياضها<sup>(29)</sup>.

وأما عن تصرفات وتحركات البرتغاليين العملية في شرق إفريقيا كان أولها بناء قلعة السيد المسيح ( كينيا ) سنة 1594 ولا تزال قائمة إلى يومنا هذا. وبناء قلاع أخرى في كل من أنجوجا وبمبا والتي رفعت فوقها الصلبان واتخاذ تمثال لفاسكو ديجاما ورفع الصليب فوقه<sup>(30)</sup> كما استدل الباحثون في الشأن الإفريقي على النوايا الدينية لقادة حملات الإكتشافات الجغرافية بذلك الأمر الملكي الذي وجهه الملك يوحنا إلى مندوبه الديني المرافق للحملة (أفراي جون اكسير) و الذي يطلب فيه منه أن يعلن للجند عن غرض تلك الحملة وأهدافها، فألقى خطبة جاء فيها :

(أن المسيحي الكاثوليكي الذي لا يدافع عن عقيدته بكل ما أوتي من قوة لا يعتبر فارسا حقيقيا من أتباع المسيح بل هو أشد سوء من العدو)<sup>(31)</sup> ناهيك عن قطع الطريق أمام الحجاج المسلمين في شرق إفريقيا إلى مكة المكرمة وقتلهم وتدمير سفنهم وأغراقها كما أورد الشيخ المغيري خبرا نقطع من خلاله الشك باليقين عن الهدف العقيدي للحملة البرتغالية، وهو أنهم أخذوا طفلا يسمى يوسف بن حمد من بيت سلاطين ممباسا و أرسلوه إلى جزيرة نجوغو من أعمال الهند بقصد تعليمه و تثقيفه، فتعلم هناك و تثقف و تنصر و لما مات أبوه أرجعوه إلى ممباسا و نصبوه سلطانا عليها مما أدى إلى قيام ثورة عام 1637م<sup>(32)</sup> هذا فضلا عن أعمال السلب والنهب والقتل وهتك الأعراض الذي تعرض له المسلمون على يد البرتغاليين<sup>(33)</sup> وبدأت الحملة

البرتغالية بوصول فاسكو داجاما إلى شرق إفريقيا عام 1498 م وكانت (الموزمبيق) أول ميناء يرسو به في تلك المنطقة، فهرع بعض سكان المنطقة إلى تلك السفن وحيوا أهلها بتحية الصليب لمعرفةهم بالحملة من خلال الشارات الصليبية على أشربة السفن، إلا أن البرتغاليين فتحوا نيرانهم على السكان فأردوهم صرعى<sup>(34)</sup> وعلى ذات المنوال استطاع رافسكو الذي انفصل عن حملة (دالندها) التي أقلعت من (لشبونة) أن يدمر زنجبار وبأسر عشرين سفينة مشحونة بالبضائع كانت راسية في مينائها بعد معركة بحرية حصد فيها البرتغاليون آلاف الأنفس بما فيهم ابن الملك<sup>(35)</sup> وهكذا تتابعت الحملات البرتغالية على تدمير المدن و الحواضر الإسلامية في شرق إفريقيا ككلوة وغيرها مما كان له الأثر البالغ في توقف حركة التجارة والهجرة وإنفراط عقد الأمن وحلول الخراب<sup>(36)</sup>.

## **التحرر من الإستعمار البرتغالي وبداية النهوض الإسلامي:**

إن الكلام عن الحركات التحررية في شرق إفريقيا لايجب أن يكون بعيدا عن الحركات التحررية في دولة عمان وثوراتهم ضد البرتغاليين علما بأن منطقة شرق إفريقيا، شهدت عدة ثورات وخاصة سكان جزيرة بمبا، فإنهم لم تلن لهم عريكة ولم تكسر لهم قناة ولا هدا لهم بال ومن أمثلة هذه الثورات ثورة 1635م وثورة عام 1637، ولا ننسى الصراع و الثورات بين البرتغاليين والمسلمين في ممباسة وبته وغيرها، ولكن التفوق العسكري والتطور الملحوظ في جانب القوات البرتغالية كانا مرجحين لكفة القوات البرتغالية. مما جعل هؤلاء المسلمين يستجدون بحاكم عمان من خلال وفد رسمي أوفد إلى عمان للإستنجاد بالسلطان

الإمام سيف بن سلطان العربي، الذي يلقب بقيد الأرض، وكان هذا الإمام حسن السيرة والسياسة محاربا للنصارى في جميع الأقطار وعمل مراكز عظيمة في البحر وعظم جيشه وقوي سلطانه حتى قيل أن جيشه الذي دخل به الهند بلغ ستة وتسعين ألفاً<sup>(37)</sup>، فبعد أن غادر الوفد الإفريقي عمان جهز سيف بن سلطان العربي حملة قاصدا ممباسة لمحاربة البرتغاليين، ودامت الحرب بينه وبين البرتغاليين عامين كاملين وفي سنة 1060 هـ استولى الإمام على ممباسة وأجلى البرتغاليين على جل المدن والحواضر الإسلامية بالساحل الشرقي إلى أقصى مملكتهم بموزمبيق، وهكذا دخلت جميع الممالك الإسلامية في شرق إفريقيا تحت حكم الإمام العماني سواء كان سيف بن سلطان بن سيف أو غيره، لما في الروايات من اختلاف في محرر البلاد من الإستعمار واتخذ عاصمة ملكه ممباسة (كينيا) ثم عين الإمام ناصر بن عبد الله المزروعى واليا على ممباسة وقفل راجعا إلى عمان<sup>(38)</sup> ومع بداية عام 1650 م بدأت العلاقات والصلات تنمو من جديد بين عمان وزنجبار وترجع إلى وضعها الطبيعي كما كانت قبل الإحتلال البرتغالي وتشير الروايات التاريخية أن الأمر لم يستقر لأئمة عمان حيث عاود البرتغاليون الهجوم على هذه المراكز من جديد ولكن الإمام سيف بن سلطان استرد ممباسة وزنجبار وبشكل نهائي من أيدي البرتغاليين بعد أن ضرب معاقلمهم في الهند ودمر حصونهم وحطم قلاعهم في المعركة الشهيرة (الديو) وكان استرداد زنجبار عام 1694 م وممباسة عام 1698 م.

## **دور العثمانيين في شرق إفريقيا:**

وبعد كتابة جزء كبير من هذا البحث الذي لم أجد في كثير من المصادر أي دور يذكر للخلافة العثمانية في هذه المناطق من العالم الإسلامي حتى وقع تحت يدي كتاب الدكتور سلطان بن محمد القاسمي حاكم الشارقة ( تقسيم الإمبراطورية العمانية)، فألفيته قد ذكر دورا بارزا للدولة العثمانية في محاربة البرتغاليين في عمان وغيرها من مدن الخليج العربي وشرق إفريقيا، فقد قاد القائد العسكري العثماني ميرعلي بية عدة حملات ضد البرتغاليين في شرق إفريقيا منها حملة عام 1585م وحملة عام 1588م حيث انتصر في الحملة الأولى وخضعت له جميع الممالك الإسلامية من مقديشو إلى كلوة وعاد بغنائم كثيرة ، مما جعل البرتغاليين يعدون حملة مضادة قوية إلى شرق إفريقيا بقيادة مارتم أفونسودي ميلو(martin affonsode mello).- بحيث انتقموا من الممالك التي وقفت مع العثمانيين واستيحت المدن وقتل الزعماء عام 1587م وفي عام 1588م أعد القائد العثماني حملة أخرى، أخضع فيها جميع مدن الساحل ولكن سرعان ما بادر البرتغاليون إلى الهجوم المضاد بقيادة ( تومي ديسوزا كيتمبو COUTINBO DESOUZA ) عام 1589م ، و الذي استعان بكثير من القبائل الوثنية كالزولو، والمساي والجاغا، فدمر الحملة العثمانية وأباح المدن الإسلامية لهذه القبائل التي تعتبر من أكلة لحوم البشر، وبذلك فرضت السيطرة البرتغالية على الساحل الشرقي لإفريقيا كما فرضت على عمان وغيرها<sup>(39)</sup> .

**دولة اليعاربة:** تنسب هذه الدولة للإمام المؤيد ناصر بن مرشد بن أبي العرب اليعربي، من ولد نصر بن زهران وكانوا من القبائل العربية<sup>(40)</sup> وتولى زمام الأمور في عمان 1615م الموافق لـ: 1024 هـ . ثم لما توفي سنة 1640 ميلادي الموافق لـ: 1050

هـ لم يترك سوى ابنة واحدة، ولم تكن له يد في إفريقيا الشرقية، بوع ابن عمه الإمام سلطان بن سيف، ولهذا الإمام تاريخ حافل في جهاد البرتغاليين ليس في مسقط فحسب، بل ترجمت كثير من الروايات التاريخية انه هو الذي بدأ جهاد البرتغاليين في شرق إفريقيا<sup>(41)</sup> ولكن الحاكم اليعربي الذي لمع اسمه في سماء شرق أفريقيا في أجلاء البرتغاليين وتكبيدهم هزائم نكراء. و الذي ترك بصمات واضحة على الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية هو الإمام سيف بن سلطان بن سيف بن سلطان بن سيف بن مالك الملقب بـ"قييد الأرض"، لكثرة فتوحاته وانتصاراته، حيث كان يملك قوة عسكرية ضاربة، كما كان مثالا في ضبط الممالك و تقييد البلاد بعده، بل تجاوز في فتوحاته إلى بعض الجزر التي كانت بالهند، ثم كان أخر أئمة من اليعاربة سلطان بن مرشد بن هدي اليعربي سنة 1167 هجرية الموافق ل 1753م وهناك رواية تقول أن آخر إمام هو بلعرب بن حمير وقد توفي في نفس السنة، ثم انتقل الحكم إلى العائلة البوسعيدية، بقيادة الإمام أحمد بن سعيد و دامت دولة اليعاربة التي امتدت من عمان إلى شرق إفريقيا وبعض الجزر الهندية 143 سنة<sup>(42)</sup> ولكن ظلت الممالك الأفريقية ولايات تابعة لدار الإمامة في عمان، يُنصَّبُ عليها ولاة مبعثون من قبل الإمام من عمان<sup>(43)</sup> إلا أنه في عهد سابع الأئمة اليعاربة سيف بن سلطان الثاني ونتيجة للفتن التي عصفت بعمان أرسل الشيخ محمد بن عثمان المزروعى واليا على أفريقيا الشرقية كان ذلك سنة 1163 هـ الموافق ل 1749م وظل هذا الوالي يبعث للإمام قسما معلوما من المال في كل عام. وفي عهده أفل نجم دولة اليعاربة<sup>(44)</sup>.

### **دولة البوسعيدين :**

قال السالمي رحمه الله في مطلع الكلام عن هذه الدولة  
(فلما غيرت اليعاربة سيرة السلف الصالح وظنوا بغباوتهم أن  
الدولة ميراث وتكالبوا على الملك أذهب الله ذلك من أيديهم  
وجعله إلى غيرهم ) ( 45 )

ومؤسس هذه الدولة هو الإمام أحمد بن سعيد بن أحمد  
محمد البوسعيدي، وكان واليا على منطقة صحار في عمان لسيف  
بن سلطان اليعربي ثم فوض إليه أمور الدولة وسياسة البلاد لما  
رآه فيه من قوة الشكيمة وعلو الهمة فلما وقعت الفتنة بين سيف  
بن سلطان اليعربي وبلعرب بن حمير بعثه سيف بن سلطان  
ليخلص الحصون من يد بلعرب بن حمير وتمكن الإمام أحمد من  
قتل بلعرب وعندها اتفق أهل نزوى بعمان على خلع سيف بن  
سلطان ومبايعة الإمام أحمد البوسعيدي ولكن السالمي يرجح  
موت سيف بن سلطان قبل بلعرب بن حمير وعليه ظلت عمان  
بدون إمام فالإمام الشرعي مات والباغي بلعرب بن حمير قتل ولا  
بد من مبايعة إمام وهكذا انعقدت الإمامة لهذا الإمام وساد ودانت  
له الخلائق واستقام ملكه تسعا وعشرين سنة وتوفي سنة 1196  
هجري<sup>(46)</sup> الموافق لـ 1781م .

## **الفتنة الكبرى بين المزاريع والنباهنة من جهة**

### **والحكام البوسعيدين :**

سبق وأن ذكرنا أن نجم الدولة اليعربية أفل وبزغ نجم  
البوسعيدين وحكام شرق أفريقيا آنذاك هم المزارعة من القبائل  
العربية العمانية علما أن أحمد بن سعيد البوسعيدي أول ما انتقل  
إليه الملك والإمامة وضع يده على زنجبار بأفريقيا الشرقية مما  
جعلهم يرفضون ولاية الإمام أحمد فووقت بينهم الحروب  
والمناوشات حيث رفض محمد بن عثمان الاذعان بالولاء



للبوسعيديين مما جعل الإمام أحمد بن سعيد يرسل من يقتله في قلعة بممباسة أما زنجبار فقد ولي أمرها ياقوت الحبشي مملوك سيد أحمد بن سعيد الأمر الذي جعل علي بن عثمان المزروعي يغتاز من ذلك ويعلن الحرب على زنجبار سنة 1167 هجري الموافق ل 1753م ولكنه انهزم هو وجيشه وقتل ودفن بزنجبار<sup>(47)</sup> كما تذكر الروايات أن الفتنة ظلت قائمة بين آل بوسعيد والمزارعة والنباهنة حتى أيام الوالي السادس على زنجبار في عهد سعيد بن سلطان سنة 1238 هجرية وتتبع تاريخ زنجبار نجد أن العمانيين لم يستفردوا بالحكم فيها بل كان هناك حكام من أهل زنجبار أي من السكان الأصليين فقد حكم زنجبار السلطان أحمد بن محمد بن حسن العلوي ويعرف عندهم باسم (بوانى مكوا) وهذا لفظ سواحلي معناه " السيد الكبير" قال عنه المغيري [هو من سلالة السلاطين السابقين وآخرهم وهم الذين سادوا زنجبار منذ زمن طويل قبل قدوم العرب العمانيين لهذه الجزيرة]<sup>(48)</sup> ثم قال [أنه من أبناء ملوك زنجبار الأقدمين]<sup>(49)</sup> وكان سلطانا على المخاديم في عهد السيد سعيد بن سلطان وكان يتقاسمان السلطة<sup>(50)</sup> وكانت له طبول وأبواق مزدانة بنقوش وكتابات عربية محكمة الصنع لا تزال محفوظة بدار الآثار<sup>(51)</sup> وبعد موت أول سلطان (آل بوسعيد بعد 41 سنة) تولى الإمامة ابنه سعيد ثم تنازل سنة 1199 هجري الموافق ل 1784م لولده أحمد بن سعيد ثم استقر الملك للسيد سلطان الذي قتل في المعركة البحرية بخليج العرب سنة 1028 هجرية الموافق ل 1619م وكان له أخ يدعى سالما شاركه في الملك والسلطنة ردحا من الزمن ولكن بعد مقتل السيد سلطان تولى الأمر أحد أبناء عمومته وهو السيد بدر بن سيف وكانت أمور تسيير الدولة تصدر عن السيدة

فاخرة بنت الإمام أحمد التي حرّضت ابن أخيها السيد سعيد بن سلطان على قتل بدر بن سيف في مبارزة علنية وبعد مقتل هذا الأخير توّطدت أقدام السيد سعيد بن سلطان <sup>(52)</sup> .

### **دولة السيد سعيد بن سلطان:**

مؤسس دولة زنجبار الحديثة، ولد هذا الهمام في بلد سمايل من عمان سنة 1204 هجري (1791م) وتولى المملكة في شهر شعبان 1219 م الموافق لسنة 1804م وبعد قتله لابن عمه بدر استقر له سلطان عمان وزنجبار وكانت تربطه أواصر صداقة حميمة مع الانجليز (الدولة الاستعمارية) حتى قال عنه المغربي و هو ممن أطنب في مدحه والثناء عليه بقوله: (هذا الإمام الباسل المقدم السياسي الذي ساقته العناية الربانية...) <sup>(53)</sup> يقول عنه <sup>(54)</sup> واصفا علاقته مع الانجليز: (وكان السيد سعيد رجلا كبيرا وحليفا أميناً للانجليز من نصف قرن ومظيفا ملوكيا للمئات من البوارج الحربية البريطانية وشريكا غيورا لبريطانيا العظمى في مطاردة النخاسين في قطع تجارة الرقيق) <sup>(55)</sup> أول زيارة له إلى جزيرة زنجبار كانت عام 1243 هجري الموافق ل 1828م بعد جولة إلى ممباسة وقد ناوشه المزاريع ثم سلموا له القلعة ومكث هذا السلطان ثلاثة شهور في زنجبار ثم عاد إلى عمان بعد اخماد القلاقل الموجودة في عمان . عاد إلى زنجبار عام 1828م الموافق 1243 هجري ليتخذها عاصمة جديدة لدولته وديوان حكومته عام 1832م وإليه ينسب فضل زراعة شجرة القرنفل التي اشتهرت بها الجزيرة في أرجاء المعمورة وازدهرت زنجبار في عهده ازدهارا لا مثيل له حيث عمت التجارة واتسع نطاقها وامتد نفوذ العرب داخل البر الافريقي وامتد صيت زنجبار واتسع نفوذها من المحيط الهندي إلى المحيط الأطلنطي وأقام علاقات

ديبلوماسية مع ملوك الدنيا وروؤساء جميع الدول دون استثناء كما بنى القصور والدور والحمامات ولا تزال هذه الآثار العظيمة شاهدة إلى يومنا هذا على ازدهار زنجبار في عهد هذا الرجل مع تحفظنا على ولاءه الشديد للانجليز هذا الولاء الذي أدى باحدى بناته وهي الأميرة سالمة إلى اعتناق الدين المسيحي ثم هربت من زنجبار في عهد السلطان ماجد لتقيم مع زوجها الألماني في ألمانيا وهي صاحبة كتاب (مذكرات أميرة عربية ) كما كان هذا الولاء سببا في ضياع الجزيرة من حكامها . وكان لزنجبار في عهده جيشا بريا قويا إضافة إلى الأسطول البحري وكان ملوك أوروبا يتقربون إليه بالهدايا كما شهدت السياحة في عهده حركة كبيرة حيث تعاضم انسياب سواح أوروبا إلى أفريقيا كما امتدت مملكته إلى موقاديشوا بالصومال و داخلية البر الإفريقي وكل ساحل أفريقيا والهند وعمان وبندر عباس وكان سياسيا محنكا يبدو ذلك من خلال المعاهدات والنشاط الدبلوماسي مع كل من أمريكا وبريطانيا وفرنسا ولكن للأسف الشديد فإن بريطانيا استغلت وقوفها معه في وجه مناوئيه في الداخل والخارج وتدخلت بشكل فاضح في شؤون السلطنة الداخلية حيث جعلت مصالح رعاياها في زنجبار في يد وكيل عنها فعينت القبطان هيمرتن قنصلا لملك بريطانيا ووكيلا لشركة الهند الشرقية في ديوان حاكم زنجبار<sup>(56)</sup> حيث اعتبر المغيري ذلك بداية الاستعمار البريطاني لزنجبار فقال: " ومنذ ذلك الحين تعاضم نفوذ الإنجليز في زنجبار ولم يمض زمن حتى تسلطوا على جميع أمورها السياسية] وفي سنة 1843م في 29 من سبتمبر رفع العلم الانجليزي بزنجبار وهذه المسألة أشبه ما تكون بما يعرف باسم المسألة الشرقية.

كما شكل هذا الرجل أسطولاً بحرياً حروبياً عظيماً مكوناً من 22 سفينة عظيمة نذكر منها:

1- السفينة ليفربول: وقد بنيت هذه السفينة في بومباي الهند عام 1826 وكان طاقمها مكوناً من 150 بحاراً وطاقماً وكانت مزودة بـ 74 مدفعاً وحمولتها 1080 طناً أرسلها السيد سعيد هدية إلى الملك وليام الرابع ملك بريطانيا عام 1833م .

2- السفينة شاه العلم وتحمل 52 مدفعاً ولها 150 ملاحاً .

3- السفينة رحمانى بها 40 مدفعاً.

4- السفينة مصطفى بنيت في مسقط وبها 26 مدفعاً ووزنها 740 طناً .

5- السفينة سلطنة والتي بنيت بالهند ( بمباي ) وهي التي أبحرت إلى الولايات المتحدة الأمريكية وتعتبر أول أسطول عربي يصل أمريكا عام 1804م(57)

**تسامحه الديني :** أن أبرز ما يميز هذا الرجل هو تسامحه الديني مع المخالف له ليس في المذهب الفقهي فقط بل في المعتقد فقد فتح المجال واسعاً للمبشر ( كرابف ) فزوده بخطاب لعماله في البر الأفريقي لتسهيل مهمته ، كما أصدر أوامره إلى عماله بعدم التعرض إلى المذاهب الفقهية الموجودة في زنجبار (الاثني عشرية الإسماعيلية-الإباضية-الحنفية-الشافعية) قائلاً لهم : «كل من حكم بحكم و أخطأ فيه يرجع بالسؤال إلى من هو أعلم منه، كل صاحب مذهب يتبع مذهبه هذا ما جرت به العادة من قديم»(58) كما كان جل قضاة في زنجبار من علماء الشافعية رغم وجود علماء الإباضية ونذكر منهم الشيخ محي الدين ابن الشيخ القحطاني والذي ظل كذلك حتى عهد السيد ماجد بن سعيد وهو صاحب كتاب السلوى في أخبار كلوة، توفي عام 1869 ومنهم

الشيخ أحمد بن سالم وقد استمر قاضيا حتى عهد السلطان ماجد الذي كان يخاطبه بالوالد توفي 1870 كما استعان السيد سعيد بالحضارمة في الجيش وبقية دواوين الحكومة واستعان بالهنود بمختلف طوائفهم الدينية في الجمارك وغيرها من الإدارات الحكومية<sup>(59)</sup> ولعل أول موفد له إلى الولايات المتحدة الأمريكية هو الحاج أحمد بن نعمان وهو من الشيعة الإثني عشرية وقد قدم زنجبار أيام السلطان سعيد من مدينة البصرة العراقية وكان أمين سره الخاص (60) ولم ينقل عنه -رحمه الله- أنه منع أحدا من ممارسة شعائره الدينية وفق ما يراه مناسبا، لهذا وصفه ريتشارد بيرتن -مؤلف كتاب زنجبار المدينة الجزيرة والساحل- بقوله: (فطين معقول -متدين جدا- دون تعصب- لين الجانب ومهذب، مهيب الطلعة متميز السمات)<sup>(61)</sup> وفي تأييده قال عنه: (الأول في الحرب والأول في السلم والأول في قلوب أهل بلده سلام على روحه)<sup>(61)</sup> وكان متواضعا دينا ذا أخلاق كريمة وخصال حميدة وتوفي في باخرته وهو عائد من عمان إلى زنجبار عام 1856م- 1273 هـ، وترك وراءه ممالك في آسيا والهند وإفريقيا، وبموته دخلت زنجبار تاريخا وعصرا جديدا حيث هبت بريطانيا وغيرها من الدول الغربية الاستعمارية لنهب خيرات القارة التي اكتشفوا مكنوناتها وخيراتها وثرواتها الطبيعية والتي مازالت تعاني إلى يومنا هذا من جراء هذه الهجمة الشرسة حيث هدمت بنيتها التحتية ومزقت تركيبها الاجتماعية بإثارة الحروب والفتن بين القبائل والأعراق والسلالات كما عرفت المنطقة تحولا سياسيا خطيرا وذلك بانقسام السلطنة حيث ورث ابنه ماجد عرش زنجبار وورث ابنه ثويني عرش عمان وكان لذلك الأثر السيئ على جميع المستويات والأصعدة وأضعف من قوة زنجبار بعد مناوشات

عسكرية بين الطرفين وتدخل بريطاني، وكان ذلك حلما تحقق لبريطانيا فحكم المقيم البريطاني في الهند بين الأخوين حيث أدى هذا التحكيم إلى انقسام الامبراطورية إلى دولتين.

### **الاستعمار البريطاني والتدخل الأوروبي :**

لعل بداية الاستعمار البريطاني للسلطنة كان عام 1239 هجري-1824م قبل نقل الإمام سعيد بن سلطان عاصمة الدولة من عمان إلى زنجبار حيث وصل إلى ممباسا القبطان (قيдал) مندوب الحكومة البريطانية، وشأن المحتلين دائما تقديم الوعود المعسولة للبلد المحتل، إذ وعدهم بتقديم مطالبهم إلى حكومة بومباي وللأسف الشديد فإن قبيلة المزاريع سارعت في اعلان الولاء والدخول في طاعة الانجليز و رفعت الراية البريطانية على المباني الحكومية بدون إذن من الحكومة البريطانية نفسها مما أغراهم أكثر وكان ذلك بسبب خوفهم من سلطان عمان يومها سعيد بن سلطان ، ومن ثم طلبت الحكومة البريطانية رسميا دخول ممباسا وكل البلاد التي امتلكها المزارعة تحت الحماية البريطانية فأبرمت معاهدة بين الوالي المزروعي والانجليز تقضي بمايلي:

- 1- جعل أمر السلطنة بيد المزارع ويكون وكيل الحامية إنجليزيا
- 2- تقسم عشور الداخل إلى نصفين، نصف للمزاريع ونصف للانجليز.
- 3- تطلق اليد لرعايا الدولة الانجليزية في الممالك الداخلية.
- 4- إلغاء تجارة الرقيق.

ولم تمضي سوى سنتين ونصف حتى انجلت القوات البريطانية على المنطقة<sup>(63)</sup> ولكن الصلات بين البريطانيين والسلاطين ظلت مستمرة ولم تنقطع، وظلت بوارجهم البحرية

تمخر عباب المحيط الهندي وتجوب خبايا المنطقة مكتشفة إياها متفحصة مكامن الفراغ ونقاط الضعف، ولعل بريطانيا كبلت أيدي السيد سعيد بن سلطان وطوقت عنقه بسلسلة من المعاهدات كان لها الأثر الكبير في إنهاء الوجود الإسلامي السياسي في هذه المنطقة ابتداء من معاهدة سبتمبر 1828 ثم معاهدة 1845م<sup>(64)</sup>، ويعلق الشيخ المغيري على ذلك وفي معرض الدفاع عن سياسة السيد سعيد بن سلطان بقوله: [ومما كلف السيد سعيد قبول هذه المعاهدات الثورات التي حدثت ضده في داخلية عمان والخليج الفارسي واضطر لصداقة الإنجليز]<sup>(65)</sup> ، وليست بريطانيا وحدها من كان لها الوجود والحضور العسكري والسياسي في زنجبار بل تكالبت كثير من الدول على هذه الجزيرة الجميلة حيث كانت الولايات الأمريكية المتحدة سباقة إلى أرض زنجبار فعقدت اتفاقية مع حكام عمان من أجل اطلاق يدها في زنجبار قال المغيري- في تأكيد هذا المعنى -:(أن نفوذ أمريكا كان هو المتسلط في زنجبار أثناء السنين التي أعقبت وصول السيد سعيد)<sup>(66)</sup> وبقيت مدة طويلة متسلطة على جميع المصالح التجارية في أفريقيا الشرقية بل كانت عندها قاعدة عسكرية في زنجبار بمنطقة تونغو(tunguu) ضمن الاتفاقية العسكرية بين البلدين والتي عقدت أساسا من أجل مكافحة البرتغاليين في الموزنبيق وأغلقت هذه الأخيرة في عهد الثورة والاتحاد مع تنجنيقا، لما قطعت العلاقات في منتصف الستينات مع الولايات المتحدة الأمريكية، ولم تكن فرنسا بمنأى عن هذه المعاهدات السياسية فقد شاركت فيها سيما ولأنها تملك مستعمرتين واقعتين بين هذه الجزيرة وهي (مدغشقر و جزر القمر) حيث كانتا تحت السيطرة الفرنسية ، وتلتها إيطاليا 1877، ثم ألمانيا 1885، ثم روسيا 1896م وفحوى هذه المعاهدات أن

تضمن هذه السلطنة لرعايا هذه الدول الحقوق التجارية والسكنى في زنجبار بلا مانع ولا رادع وتشمل إعفاء الأوربيين من تسليم الرسوم والمعشرات للحكومة<sup>(67)</sup> علما أن في هذه الفترة كان الوجود الألماني متجذرا بكل ثقله الديني والسياسي والثقافي في (تنجنيقا البر حيث كانت مستعمرة ألمانية) وبعد انحصار الدور الألماني وخسارته في الحرب العالمية خرجت ألمانيا من هذه المستعمرات لتحل محلها بريطانيا فكانت زنجبار وتنجنيقا (تنزانيا اليوم) وكينيا، وأوغندا كلها مستعمرات بريطانية ولكن رغم هذا فإن بريطانيا كان لها قنصلا مقيما في زنجبار وكانت زنجبار تابعة لوزارة الخارجية البريطانية، وفي عام 1913 اتبعت لوزارة المستعمرات وعين لقب المعتمد والمقيم بدل لقب القنصل<sup>(68)</sup> وبهذا التاريخ اكتملت حلقة الاستعمار الأوربي للعالم الإسلامي بشرقه وغربه وتوزعته القوى الاستعمارية فلم يكد عام 1920 يكتمل حتى أطبقت هذه القوى الغاشمة بقبضتها على كل دول العالم الإسلامي.

### **آثار الاستعمار البريطاني على جزيرة زنجبار:**

إن آثار الاستعمار تكاد تكون واحدة في جميع البلدان وتتمثل في تدمير البنية التحتية والاقتصادية والاجتماعية والتفرقة العنصرية، حيث يتبنى هذا الأخير مذاهب اعتقادية شتى، إلا أنها في الأخير جميعها تخدم الفكرة الدينية والحملة الصليبية الحاقدة، و كل مذهب يريد حمل الآخرين على أتباعه، ويسعى لتوسيع قاعدته وكسب الأتباع ولو كان ذلك بإراقة الدماء وقتل الأبرياء حتى ولو كانوا من أبناء الملة النصرانية نفسها مما أخضع القارة الأفريقية لحروب ضروس وتفكك اجتماعي رهيب عاد بالسلب على القارة ومواردها البشرية كما رافق ذلك نهب ثروات القارة



وخيراتها، وأخذها موادا خاما إلى أوروبا لإعادة تصنيعها وبيعها في مواطنها الأصلية بأسعار باهضة مما أثقل كاهل الشعوب الأفريقية وجعل هذه القارة كغيرها من البلدان المستعمرة تعيش تحت خط الفقر، كما كان موضوع الاسترقاق في ثوبه الجديد والمتمثل في أخذ اليد العاملة الأفريقية إلى أوروبا وأمريكا للعمل في المناجم والمصانع العملاقة وبأجور زهيدة (رمزية)، غالبا على الوجود الغربي في المنطقة حيث لم يعف من هذا الاسترقاق (الأطفال والنساء) .

يضاف إلى ذلك البعد الثقافي والديني للاستعمار حيث ومن الوهلة الأولى التي وطأت فيها أقدام الغربيين هذه القارة الغنية الفقيرة كان البعد الديني والثقافي حاضرا في ذاكرتهم، بل هدفا ساميا كرسوا له جميع الطاقات، فقد ذكر الميسيو بوني موري كما نقله عنه شكيب أرسلان هذه الأبعاد حيث قال: [ بل إن الميل الحاضر عندهم إلى الاكتفاء بالزوجة الواحدة والاعتناء بترقية المرأة وإصلاح المحاكم كل هذا كان من نتائج الدعوة المسيحية] ويقول في موضع آخر ( فالنصرانية كانت الرجحى في أهمية النتائج الأدبية والاقتصادية، ثم لا يوجد وجه للقياس بين مدارس النصرانية، وبين كتاتيب الزوايا فضلا عن كون مبشري الإنجيل أسسوا مدارس صناعة مثل مدارس بغاميو (bagamoyo) ومدارس زراعية نظير مؤسسة الآباء البيض)<sup>(69)</sup> .

كما بادر المستعمرون سواء الإنجليز في زنجبار أو الألمان في البر الأفريقي إلى تأسيس الإرساليات التبشيرية والمدارس والمستشفيات وغيرها من الوسائل البشرية فقد ذكر الشيخ عبد الله بن الصالح الفارسي، أنه عندما وصل القسيسان تزور وادوارد

ستير عام 1864 أعطاهما السيد ماجد بيتا عظيما مقرا للبعثة التبشيرية (70) .

## I- القضاء:

لقد وجه الاستعمار ضربة قاضية للنظام القضائي في زنجبار ومن خلال تلك المعاهدات الجائرة المبرمة مع حكام وسلاطين زنجبار تأسست محاكم السفارات أو ما يسمى بالمحاكم القنصلية حيث يحتكم إليها رعايا تلك الدول دون تدخل من السلطات الزنجبارية، كما أعلن عام 1905 عن تأسيس المحاكم المدنية في عهد السلطان علي بن حمود ، وبذلك حصرت اختصاصات القضاة الشرعيين في أمور الأحوال الشخصية وبعض القضايا المدنية ( 71 ) حتى وإن فوض الأمر لقضاة شرعيين للنظر في قضايا الأحوال الشخصية والذي ما زال معمولا به إلى يومنا هذا فإن القضاء الشرعي يعتبر فرعا من فروع المحكمة العليا التي يتولى أمرها الإنجليز وبذلك حددت صلاحيات القضاة وألغى العمل بالقانون المدني الإسلامي ليحل محله القانون الإنجليزي.

## II- اللغة:

ثم كانت الطعنة المسمومة في هذا الجزء من العالم الإسلامي بالقضاء على اللغة العربية واستبدال الحرف العربي بالحرف الإنجليزي لكتابة اللغة السواحلية فقد كانت هذه الجزيرة محبة للغة العربية وتكتب لغتها السواحلية بالحرف العربي، ولعلك إذا مررت بالقبور قبل سبعين سنة أو أكثر من ذلك فإنك تجد الكتابة عليها بالحرف العربي كما يعلو الأبواب الزنجبارية القديمة الكتابة بالحرف العربي، وبعد أن تسلم الإنجليز مقاليد الحكم في زنجبار أصدروا منشورات عدة تحرم استعمال اللغة السواحلية في أي من المستويات الإدارية في زنجبار وغيرها وسعت بكل ما تملك من قدرات أن تكتب اللغة السواحلية بالحرف اللاتيني، وهو الأمر الساري إلى الآن، فإن اللغة السواحلية أصبحت تكتب بالحرف الإنجليزي مثل كلمة ( وقف ) Wakf وكلمة ( حج ) Hija ورغم الجهود الحثيثة للمدارس القرآنية الإسلامية للمحافظة على الحرف العربي من خلال التحفيظ وتعليم مبادئ الإسلام واللغة العربية، إلا أن الحرف الإنجليزي مازال مسيطرا على الكتابة ولغة التخاطب والمراسلة .

## III- العادات والتقاليد والنظام الاجتماعي:

كما نجح الاستعمار البريطاني في نشر بعض العادات والتقاليد الغربية والنظم الاجتماعية في زنجبار كخروج بعض النساء متبرجات والاختلاط بالرجال اختلاطا مشينا وكذلك تعاطي المسكرات والخمور وممارسة الفاحشة من خلال السواح والمستثمرين الأجانب، الذين أطلقت أيديهم في الاستثمار فكانت الفنادق والسياحة من أكبر مجالات الاستثمار فيه هؤلاء، ولعل هذه الآثار مازالت حتى يومنا هذا فإن جل الفنادق السياحية

على السواحل في زنجبار من ممتلكات المستثمرين الغربيين ،  
والتي تنتشر بها المحرمات .

كما نجح الاستعمار عموماً في هذه القارة وخصوصاً في  
زنجبار في غرس مفاهيم خاطئة عن مسألة الرقيق والاستعباد،  
وإلصاق التهمة بالعرب على أنهم هم الذين مارسوا الاسترقاق  
والاستعباد، وهم الذين عاملوا السكان بوحشية مطلقة.

نعم لا يمكن أن ننكر مسألة ممارسة الحكام العرب  
وسلاطينهم لعملية الاسترقاق، وكانت هذه الظاهرة ضمن ظروف  
سياسية واجتماعية معينة مورس فيها الرق في جميع دول العالم ،  
ولا ننكر أن بعض التجار العرب الذين فرغت نفوسهم من الوازع  
الديني قد مارسوا الرق وعاملوا الرقيق معاملة سيئة في بعض  
الأحيان مقابل الحصول على الربح، ولكن هذا شذوذ وانحراف  
ونادر لا عبرة به، ولكن الذي نرفضه هو أن يكون ذلك هو الطابع  
العام أو الأصل الأصيل في المنظومة الإسلامية، بل إن الرقيق  
كانوا يذهبون للعمل أو يعملوا في مزارع العرب والمسلمين كما  
كانوا في الغالب العام يعاملون معاملة حسنة منطلقة من نظرة  
الشريعة الإسلامية الغراء لهذه الطبقة من المجتمع، وأنها طبقة  
لها كافة الحقوق الإنسانية و لا يجوز الانتقاص منهم. ولكن إذا  
نظرنا إلى مسألة الرق عند البرتغاليين والبريطانيين والأمريكان  
وغيرهم، فإننا نجد أعداداً وأرقاماً مهولة سبقت إلى هذه الدول في  
ظروف سيئة للغاية حيث تشير بعض المصادر إلى أن عدد الرقيق  
بلغ (40 مليوناً) مات النصف منهم في ظروف قاسية ووصل  
البعض الآخر إلى هذه المستعمرات في ظروف بالغة الصعوبة  
حيث عوملوا معاملة وحشية قاسية تتنافى مع جميع مواثيق حقوق  
الإنسان العالمية والأعراف الدولية وما زالت هذه الطبقة من

السود في أمريكا والدول الأوروبية تعاني من ميز عنصري فاحش وهظم للحقوق إلا أن الأوروبيين والأمريكان استخدموا بعض التجار العرب لصيد العبيد وبيعهم كما استخدموا رؤساء القبائل الإفريقية في الغرض نفسه.

فكان التجار العرب في الصورة السيئة المشوهة التي نشرت عنهم في أوساط الأفارقة، مما ولد كراهية شديدة وحساسية مفرطة اتجاه العرب خاصة عند بعض أهل زنجبار من غير المثقفين ولعل المخطط الاستعماري الصليبي كان ساري المفعول ولسنوات طويلة فآتى ثماره ونتائج المرّة بعد رحيل الاستعمار، فترك عزّابين له حلوا محله بنفس البغض والحقد الدفين على العرب، فكانت مجزرة عام 1964 ضد كل العرب المقيمين في زنجبار، فبعض الإحصائيات تشير إلى أنه قتل ما يزيد عن 35 ألفا وبعضها تصل بالعدد إلى 50000 ألفا وهرب الباقي إلى اليمن وعمان وكينيا، ولكن هذه الخدعة التي انطلت على البسطاء والمتغربين من أبناء المنطقة فإنها لم تدم طويلا وانكشفت الحقيقة وقامت منظمات بل و دول مطالبة الدول الأوروبية بالتعويضات التي لا تقدر بثمن عن مرحلة الاستقراق وما نتج عنها من خلخلة للبنية الاجتماعية في القارة ونقص الأيدي العاملة وغيرها من الآثار السلبية.

ففي مدينة دربان بجنوب أفريقيا عقدت قمة بتاريخ 24/08/2001 موضوع هذه القمة مناهضة الميز العنصري في العالم حيث حضر وفود وممثلو جميع جدول العالم فطالبت أربعون منظمة غير حكومية المؤتمر الدولي وعلى لسان (اليوني تيني) المسؤول المنسق للمنظمات الأفريقية غير الحكومية حكام الدول الاستعمارية بالاعتراف بتلك الجرائم والاستعباد وما نتج عنه من

خلخلة في الوضع الإقتصادي والإجتماعي والإقتصادي والسياسي للقارة وقد طالبت هذه المنظمات بتعويضات تقدر ب 777 ترليون دولار ، كما أشار تقرير منظمة اليونسكو الصادر عام 1987 إلى أن ما فقدته أفريقيا من أبنائها في تجارة الرقيق يقدر بحوالي 210 مليون نسمة، علما أن هذه المنظمات التي طالبت الدول الاستعمارية بالتعويضات استندت إلى الخلفية التاريخية والأعراف والمواثيق والقوانين والتي كان الفضل في صياغتها للمحامي البريطاني (اللورد انتوني جيفورد) في ورقة قدمها إلى مؤتمر دعت إليه الجماعات الراحية لفكرة التعويضات الذي عقد في نيجيريا بقيادة الزعيم الراحل مسعود اويلا عام 1993 وهذه المطالب قوبلت بتجاهل أوروبي أمريكي شديد، في حين لم نجد أي مطالبة لأي من الدول الإسلامية بأي تعويض (71)

كما كان للكنيسة دور رائد في تشويه صورة المسلمين وإلصاق تهمة الرق بهم، ولعل ذلك واضح في الرسوم الموجودة في كنائس زنجبار، ككنيسة السيد المسيح وهي كنيسة كاثوليكية رومانية حيث جعلوا في ساحتها حوضا فيه تماثيل للعبيد وفي أعناقهم الأغلال بل وللكنيسة متحف يحكي قصة الاسترقاق حيث رسمت صور للرجل العربي وهو يلهب ظهر الإفريقي بالسياط وغيرها من الصور الدالة على الامتهان والاحتقار.

علما أن أولئك الذين كانوا يؤخذون من أفريقيا إلى العالم الإسلامي لم يؤخذوا كعبيد بل كانوا يؤخذون لوظائف الجيش وغيرها، وكان لهم الحضور السياسي القوي إلى درجة قيامهم بالثورة على الخليفة كما جاء في حوادث عام 750م فيما يسمى بثورة الزنج في بغداد كم يروي لنا التاريخ ان المسلمين العرب حينما كانوا يدخلون البلدان الأفريقية ويعتنق أهلها الإسلام فإن

أهلها هم الذين يكونون ممالك إسلامية ويحكمون أهلها وتصهرهم رابطة الأخوة الإسلامية مع العرب ولعل سبنسر ترمينجهام أنصف حينما أشار في كتابه عن الإسلام في شرق إفريقيا إلى عدم اشتراك التجار العرب في الغارات التي كانت تقع في الغابات لاقتناص العبيد وصيدهم لا من قريب ولا من بعيد<sup>(72)</sup>

كما كان لزميلنا المرحوم الدكتور علي سنداروا اليد الطولى في الدفاع عن مسألة الاسترقاق من خلال مؤلفاته سائقا الأدلة والحجج الدامغة لرد هذه الفرية وإبطال هذه الشبهة -فرحمه الله-

## VI- في مجال التعليم :

لما جاء البريطانيون إلى زنجبار-لا شك- أنهم وجدوا الحياة العلمية مزدهرة بحسب ذلك الزمان وأهله وكانت مدارس القرآن الكريم والعلوم الشرعية تملأ أرجاء الجزيرة كما كانت الجزيرة تزخر بالعلماء والمشايخ والقضاة سواء أولئك الذين قدموا من البلاد العربية (عمان- اليمن) أو من أبناء المنطقة الذين تفقهوا في أمور دينهم وأصبحوا من العلماء الراسخين مثل الشيخ حسن بن عمير الشيرازي و عبد الله صالح الفارسي ولا نبالغ إذا ما قلنا أن زنجبار أول دولة عربية عرفت المطبعة حيث أنشئت أول مطبعة في زنجبار عام 1287هجرية الموافق ل 1868م بل لم تستثن المرأة من التعلم في المدارس القرآنية، حيث كان يأخذ كل طفل إلى المدرسة القرآنية ويعلم أمور دينه والكتابة والقراءة، كما كان التعليم طوعيا مجانيا إلا ما يعطى من هدايا وهبات للشيوخ خاصة عند الاحتفال بختم القرآن العظيم كاملا وهذا ما جعل الإرساليات

التبشيرية تفكر جادة في إنشاء مدارس على الطراز الغربي الحديث لتدرس مساعدين وإداريين من غير المسلمين تستعين بهم في إدارة البلاد ولا أبالغ إذا قلت أن كل المستعمرين لشرق أفريقيا وغيرها ركزوا على الجانب التعليمي ولكن بدرجات متفاوتة ووسائل مختلفة فلقد سبق وأن ذكرنا أن البرتغاليين أخذوا صبيا من ممباسا، وأرسلوه إلى الهند حيث تثقف وتعلم وتنصر ليعود بعدها حاكما على البلاد عام 1620م، ولكن ورغم الأثر البسيط الذي صاحب الحملة البرتغالية والجهود الضئيلة للمجهود البرتغالي في إحداث تغيير اجتماعي وثقافي وعقائدي في التركيبة الاجتماعية الأفريقية، نظرا لما صاحب العملية الاستعمارية من عنف<sup>(73)</sup> فإن البريطانيين لم يأسوا، وقامت الجمعية التبشيرية في لندن بإرسال المبشر (ج.ل كرايف)، وكان أول مبشر تطأ أقدامه زنجبار وشرق أفريقيا عموما عام 1844 أي في القرن التاسع عشر ميلادي، وهو ألماني الأصل كرس جميع جهوده لبناء كنيسة ومدرسة نظامية ومستشفى وكان يعتمد في أسلوبه على التلقين المباشر لمفاهيم المسيحية، كما انصرف إلى التأليف وكتابة العهد الجديد (الإنجيل) بالسواحلية ولم يهمل الكتابة باللغة الإنجليزية، ثم تلاه المبشر الألماني (فن)، واعتمد هذا الأخير منهج الجواله، ثم ختمت بمنهج (فريبر) المعتمد على الجانب السياسي والاقتصادي، إذ يرى أصحاب هذا المنهج وجوب الاعتماد على دولة نصرانية ذات كيان سياسي مستقل تدعم مسيرة العمل التبشيري ودعوة الشركات الأوروبية للتنقيب عن الذهب ليرتبط الأفارقة بهذه الشركات، كما اعتمد الاستعمار البريطاني على إرساليات الجامعات في لندن والتي قامت بدورها بتعليم الأطفال وإرسالهم إلى القنصليات البريطانية والأمريكية في زنجبار لتلقي مزيد من



العلوم والمعارف بجانب العلوم الكهنوتية، ومن ثم إرسالهم إلى هذه الدول لاستكمال مراحل التعليم العالي، كما أسست السلطات البريطانية أول مطبعة - لطباعة الكتب والأناجيل باللغتين السواحلية والإنجليزية، ومن هذه المدارس تخرج القسيس السياسي جليوس نيريري حاكم تنزانيا ومبيد المسلمين في زنجبار مستغلا المد الشيوعي والنقمة على الاستعمار والتي كانت ميزة طاغية في ذلك الوقت على الشعوب المستعمرة، والتي وجدت ضالتها في الاتحاد السوفياتي الشيوعي.

وفي عام 1905 تأسست وزارة التعليم في زنجبار تحت إشراف بريطانيا وفي العشرينات من القرن نفسه اضطرت الإدارة الاستعمارية إلى إدخال العلوم الشرعية في المدارس الحكومية حيث استقدم بعض العلماء من جمهورية مصر العربية منهم فضيلة العلامة عبد الباري عبد الباري العجيزي- رحمه الله تعالى- والذي كان له الأثر البالغ في تدريس اللغة العربية في المدارس الحكومية (74).

## **المؤامرة على الوجود الإسلامي وانتهاء العربية الإسلامية:**

هناك عوامل كثيرة كان لها تأثيرها المبين في انتهاء الدولة العربية الإسلامية في زنجبار وضياع جميع ممتلكاتها في شرق أفريقيا فهناك عوامل داخلية وعوامل خارجية وعوامل إقليمية.

### **أما العوامل الداخلية:** فتمثلت في تفتت السلطنة

العمانية إلى سلطنتين: الأولى بقيادة السلطان (ثويني) في عمان، والثانية في زنجبار بقيادة السلطان (ماجد) بعد سلسلة من الصراعات والخلافات بين الاخوة الأعداء أبناء السلطان سعيد بن سلطان، وبتأييد ومباركة بريطانية تحقق الحلم الذي كان يراود

القوة الاستعمارية، مما أدى إلى إضعاف السلطنتين وذوبان العنصر العربي في المجتمع الأفريقي وأصبحت اللغة العربية لغة الطبقة الأرستقراطية ولم تتجاوز ردهات القصور وسجل المخاطبات بين القضاة والسلاطين ولم تنتشر أو تشاع بين أبناء المجتمع كله بل تنساها أبنائها وتركوها ظهريا كما انشغل العرب عن دورهم الريادي في نشر رسالة الإسلام وتكاليهم وراء المال والثراء وأصبح همهم الوحيد جمع المال وتركوا المجال أمام البعثات التنصيرية التي جابت جبال ومرتفعات كلمنجارو وغيرها من المناطق في شرق إفريقيا التي كان سكانها وثنيين فتحولوا إلى النصرانية

### **العوامل الإقليمية :**

إن العلاقات بين سلطنة زنجبار ومصر ضاربة في التاريخ حيث إن محمد علي باشا كان قد وصل إلى أجزاء من أوغندا عبر السودان وأقام علاقات طيبة مع سلاطين زنجبار بل لما مات المدفعي الوحيد في اساطيل السلطان سعيد بعث لمحمد علي باشا يطلب منه سرعة ارسال مدفعي بديل وكان له ما أراد<sup>(75)</sup> وتواصلت هذه العلاقات الحميمة في عهد الخديوي إسماعيل والذي كان يحلم بإقامة إمبراطورية عظيمة تمتد إلى بنادر الصومال وكان ذلك واضحا من خلال اكرامه للسلطان برغش عند نزوله مصر في طريقه الى بريطانيا (76) وهذا ما أقلق القوة الاستعمارية حيث لا يروق لها أن ترى قوتين اسلاميتين تحكم قبضتها على افريقيا، وما يكون لذلك من انعكاسات خطيرة على مصالحها السياسية والاقتصادية والعقيدية فعملت هذه القوة على تفكيك دولة مصر التي كانت ممتدة إلى السودان وجزء من أوغندا وعملت على إنهاء الوجود العربي الإسلامي في زنجبار وبذلك

ضمنت نهاية الوجود العربي في شرق أفريقيا والذي امتد إلى كل من (مالاوي وزائير).

من جهة اخرى كانت تلك المعاهدات التي وقعها السيد سعيد بن سلطان مع الدول الأوروبية وخاصة تلك الموقعة مع بريطانيا حول تحرير الرقيق وإنهاء الرق أكبر شراك نصب لإعاقة الوجود العربي والحد من حركة السفن الملاحية وبذلك تأثرت حركة التجارة بين دول الخليج العربي وشرق أفريقيا تأثرا سلبيا وكان ذلك أكبر نجاح لبريطانيا في إنهاء الوجود العربي بمأساة وفاجعة، حيث استطاعت أن تخلق جوا من الانقسام العرقي و الطائفي بين السكان الأصليين والعرب خاصة العمانيين وسلكت سياسة فرق تسد وهبت رياح الحياة السياسية الغربية على زنجبار، وفي عام 1926 تعين المجلس التنفيذي وفي العام نفسه تعين المجلس التشريعي (البرلمان) والذي كان يرأسه (الزردنت هارتن هول) وكان أكثر أعضائه من النصارى (البريطانيين)، ثم تأسست الجمعية العربية التي ترأسها الشيخ (حافظ بن محمد البوسعيدي)، وفي الخمسينات نشأت الأحزاب السياسية المتصارعة وهي:

1-الحزب الوطني PARTY NATIONAL ZANZIBAR: وهو حزب عربي خالص ذو ميول اشتراكية.

2- الحزب الأفروشيرازي ASP: وهو حزب المواطنين الأصليين وهو ذو أبعاد شيوعية ماركسية

3- حزب الشعب PAmBA AND ZPPp PEOPLES party zanzibar: وهو حزب انشق عن الحزب الأفروشيرازي ووقع الانفجار الحقيقي عام 1954 بين الجاليات والجمعيات في زنجبار، حيث اتهم المقيم العام الإنجليزي محريري جريدة (الفلق) وهي جريدة ناطقة بالعربية يصدرها الاتحاد العربي بنشر مقالات مثيرة

للرأي العام، مما اكسبهم عدواة الأحزاب المدعومة من قبل بريطانيا ومنها الحزب الأفروشيرازي والاتحاد الوطني الهندي، كما أيد العرب حزبا راديكاليا وهو الحزب الوطني (في انتخاب عام 1957) حيث خسر هذا الحزب الانتخابات ولم يفز منهم عضو واحد، واكتسحت الأحزاب الافريقية هذه الانتخابات.

وفي انتخابات عام يونيو 1961 تغيرت المعطيات وتنافست الأحزاب الثلاثة على الساحة السياسية وأفرزت هذه الانتخابات النتائج الآتية:

- الحزب الوطني حصل على عشرة مقاعد (1985) صوتا.
- الحزب الافروشيرازي حصل على عشرة مقاعد وعلى (45176) صوتا.
- حزب الشعب حصل على ثلاثة مقاعد.(77)

وقد مكنت هذه النتيجة الحزب الوطني للتحالف مع حزب الشعب من تشكيل الحكومة وصحب هذه الانتخابات أعمال عنف استهدفت العرب ، بل وصل الأمر إلى قتل النساء والأطفال وتدمير البيوت على أصحابها(78) وفي عام 1964م قام الحزب الافروشيرازي بالثورة على الحكم العربي وبالائحاد مع الحزب الثوري في تنجانيقا البر بقيادة البابا السياسي والقس المتحزب الكاثوليكي جيلوس نيريري خريج المدارس التبشيرية البريطانية في دار السلام، حيث اقنع هذا الأخير قادة الحزب الأفروشيرازي بضرورة الوحدة وتشكيل حكومة اتحادية (زنجبار + تنجانيقا) وتشكيل جمهورية اتحادية اطلق عليها اسم تنزانيا، وبدعم بريطاني \_ وللأسف الشديد \_ ودعم عربي متمثل في دعم جمال عبد الناصر لثوار الأفروشيرازي بالسلاح وغيره انتهت الدولة العربية الإسلامية في زنجبار بكارثة ومأساة لا تقل بأسا وألما

وخطورة عن مأساة المسلمين في الأندلس، من قتل وإخراج قسري لمن بقي حيا إلى الموطن الأم عمان أو غيرها من الدول المجاورة تاركين حضارة ماتزال معالمها واضحة و بصماتها قائمة على ربوع الجزيرة، وهناك حقيقة أخرى عرفت بعد الانتهاء من كتابة هذا البحث وهي أن السلاح الذي قتل به المسلمون في زنجبار كان سلاحا جزائريا في عهد الرئيس أحمد بن بلة، حيث استولى الثوار على باخرة تسمى " ابن خلدون" كانت محملة بالسلاح إلى الثوار في موزنبيق، ثم أفرغت الشحنة في ميناء دار السلام. ومهما كانت دوافع جمال عبد الناصر وتبريرات محمد فائق مسئول تسليح حركات التحرر الوطني الإفريقية ووزير الإعلام في عهد جمال عبد الناصر في ندوة افريقيا والعرب والمنعقدة في عمان (الأردن) في عام 1983(79) فإن الخطأ كان فادحا، والخطب كان أعظم والمصيبة كانت جلا، حيث استيحت الأعراس وسفكت الدماء وانتهت دولة ذات سيادة ومؤسسات لتصبح مجرد ولاية من الولايات لا تملك حق تقرير المصير ولا تستطيع أن تتصل بالعالم الخارجي إلا عن طريق وزارة الخارجية بدار السلام والذي يسيطر فيها على مراكز صنع القرار النصارى وليس أدل على ذلك أنه في 1996 حاولت زنجبار أن تنظم إلى منظمة المؤتمر الإسلامي باعتبار أن 98 بالمائة من سكانها مسلمين، فرفعت ضدها دعوى قضائية في المحكمة الدستورية قضت المحكمة بموجبها بمنع حكومة زنجبار من أي اتصال خارجي إلا عن طريق وزارة الخارجية بدولة تنزانيا، كما حرم المسلمون من حقوق وامتيازات كثيرة ، منها التعليم العالي حيث لا يقبل منهم إلا نسب ضئيلة في حين يفتح المجال واسعا أمام النصارى. وكانهم

أغلبية

حيث لاتزيد نسبة الطلاب المسلمين في جامعة دارالسلام عن 10% كما لاتزيد نسبة أعضاء هيئة التدريس فيها من المسلمين عن 10% ايضا وذلك بحكم أن المنح التي كانت تعطى لدولة تنزانيا جلها من أمريكا 30 منحة سنوية ثم بريطانيا 25منحة ثم مصر 15 منحة سنوية وباعتبار أن أغلبية أساتذة الجامعات نصارى وكذلك أعضاء مجلس التعليم العالي فإن المنطق يفرض عليهم أن يرسلوا النصارى وذلك أيضا لتحقيق الاستمرار في التمکن . ولعل لقائل أن يقول إن مساندة جمال عبد الناصر لنييرى ووقوفه ضد الدولة العربية يأتي ضمن النظرة الإستراتيجية للمصالح العربية في المنطقة

حيث إن تنزانيا تعتبر من ضمن مجموعة دول حوض النيل والذي يمكن أن تشكل عائقا قويا أمام استفادة مصر من حصة الأسد من مياه النيل كما كان للتنافس العربي الإسرائيلي على المنطقة مبرره حيث وضعت ثورة يوليو نصب أعينها القارة الإفريقية كحليف استراتيجي في صراعها مع اسرائيل وذلك لقطع الطريق امام التسلل الإسرائيلي للمنطقة ويظهر ذلك من خلال دعم الحركات التحررية بالمنطقة مهما كانت طبيعتها ومساعدة الدول التي نالت استقلالها حديثا بكل الوسائل .

ولايمكن غمط التجربة حقها ولااغماض العين عن نتائجها حينها حيث قطعت عدة دول ومنهم تنزانيا العلاقات مع الولايات المتحدة الامريكية ولم تعترف بالكيان الصهيوني طيلة حقبة الستينات والسبعينات ، ولكن كان ذلك لمرحلة محددة ، ومع التغيرات المحلية والإقليمية والعالمية فقد تغيرت المعادلة لصالح اسرائيل وحليفها امريكا فأماالمتغيرات المحلية فإن القارة ظلت تعاني من الثلاثي الخطير (الفقر والمرض والجهل ) مما جعلها تسعى

لفك الارتباط بينها وبين هذا الثلاثي الخطير وإن كان ذلك على حساب مواقفها الاستراتيجية كما كان للحروب الأهلية والصراعات الداخلية دورا كبيرا في تغيير بعض قادة هذه القارة من سياساتهم اتجاه اسرئيل وامريكا وخاصة تنزانيا وذلك في اطار ترتيب أولوياتهم السياسية وتمشيا مع التغيرات الإقليمية والمتمثلة في اعتراف كثير من دول افريقيا علاقات مع اسرئيل كاثيوبيا وهرولة بعض الدول العربية الإفريقية للتطبيع مع اسرئيل وإقامة العلاقات سرية وجزرية كمصروغيرها وتخلي كثير من دول الجوار من العالم العربي عن دوره الإنمائي في القارة .

وأما التغيرات العالمية فتتمثل في انتهاء الحرب الباردة وخروج المعسكر الغربي منها فائزا وتفكك حلف وارسو وغياب الدور الحقيقي لدول عدم الانحياز وبروز النظام العالمي الجديد وسيادة الفكر الأمريكي على جميع الأصعدة وخاصة السياسية منها والإقتصادية والعسكرية وظهور مصطلح العولمة بكل جوانبها وسيطرتها على المفاهيم والممارسات أضف إلى ذلك التعتت الأمريكي واختراع خدعة مكافحة الإرهاب فكل هذه التغيرات أدت إلى فقدان العالم العربي حلفاءه الإستراتيجيين في القارة وعادت الصولة والجولة للوجود الأمريكي والإسرائيلي في المنطقة

ولعل حقد جمال عبد الناصر على الأنظمة الملكية جعله يدعم جميع الحركات المناوئة لهذه الملكيات في العالم ولكن لئن كنا نجد مبررا لدور جمال عبد الناصر في إنجاح الثورة في اليمن ضد الإمامة (الإمام يحيى وابنه الإمام أحمد حميد الدين) وقد نجد له بعض العذر في تحالفه السياسي مع نيريري فإننا لا نجد لجمال عبد الناصر مبررا أبدا أن تحمله العصبية الفكرية لمبادئ الماركسية والقضاء على ما يسمى الإقطاع والأرستقراطية على

التعاون مع الخطة البريطانية لإنهاء الحكم الإسلامي العربي وقتل الآلاف وحرمان المسلمين من ممارسة دورهم الحضاري في نشر شعاع الحق في أفريقيا بأسرها وسيكتب التاريخ عن الأعراض التي انتهكت و الأموال التي نهبت والنفوس التي قتلت والمساجد التي هدمت والشرائع التي عطلت و الحرف العربي الذي غيب ويحق فيه وفيمن تعاون معه قول الله تعالى: «وقفوههم إنهم مسؤولون».

أليس في وسع جمال عبد الناصر أن يتدخل وبشكل قوي وحاسم لجعل هذا الانقلاب أبيضاً لادماء فيه ؟ خاصة وأنه لم يقابل \_الإنقلاب \_ بأي مقاومة حتى يجد انقلابيون مبرراً لمجازرهم وليس أدل على ذلك من كون غالبية القتلى من الأطفال والنساء والشيوخ كما لا نسلم لمقولة محمد فائق الزاعمة بأن اتحاد المسلمين في زنجبار مع تنجنيقا قد ب وأهم مراكز كبيرة عادت بالنفع على المسلمين ولسبب واحد وهو أن تنجنيقا قد نالت استقلالها قبل زنجبار بنحو ثلاث سنوات مما جعل نيريري يُمكن النصارى تماما من مراكز صنع القرار والمناصب الحساسة في الدولة وجعل المسلمين يعيشون على هامش الحياة السياسية والإقتصادية والثقافية ولعل الواقع خير شاهد على ذلك

ولعلي اختتم هذا الفصل بملاحظة هامة : " أن زعيم الثوار المدعومين من قبل أنظمة تدّعي أنها خادمة للعروبة والإسلام وتتغنى بالقومية العربية في المحافل الدولية كان نصرانيا من أوغندا واسمه "جون أكيلو قدم إلى زنجبار عام 1956 وانخرط في الحزب الأفروشيرازي(80) وأخيرا فلقد نجح الاستعمار البريطاني وبخطة محكمة ومدروسة أن يزرع الفرقة بين أبناء المجتمع الواحد الذين توحدوا جميعا عربا وأفارقة لمحاربة الألمان



والإنجليز، كما نجح في تغييب الحرف العربي واللغة العربية من هذه الجزيرة نجح في غرس الكراهية والحق في صدور السكان الأصليين على العنصر العربي من خلال إرساليته التبشيرية ومدارسه النصرانية في ظل غياب مدارس عربية على الطراز الحديث، ووفق مناهج متطورة مزايدا بقضية الرق مستغلا جهل السكان وضعف قدرات المسلمين في محاربة هذه الشبهات آنذاك، ولعل الاستعمار يعلم أن هذه الجزيرة فيها من الموارد البشرية ما يؤهلها لمواصلة دورها الحضاري في شرق أفريقيا فلقد اكتشف البترول في هذه الجزيرة في أواخر الخمسينات ، كما أن هذه الجزيرة غنية بالثروة السمكية حيث يحيط بها المحيط الهندي من كل جانب وكذلك أراضيها خصبة وفيها من الفواكه والمحاصيل الزراعية ما يؤهلها للاكتفاء الذاتي، دون أن ننسى شجرة القرنفل وأهميتها في إنعاش ميزانية الدولة من خلال تصديره إلى دول العالم وكذلك فإن الجزيرة تعتبر همزة وصل بين آسيا وأفريقيا وربط الهند بالعالم العربي، إذ يؤهلها موقعها الاستراتيجي لحركة تجارية عالمية واسعة وكذلك فإن الجزيرة تعتبر منتزها سياحيا خلايا حيث يؤمها إلى يومنا هذا عدد كبير من السواح مما يدر دخلا كبيرا عليها (فبحسب تقديرات 2002، عدد السواح في الجزيرة يصل إلى 75 ألف سائح في السنة)(81) كل هذه المقدرات والثروات والموارد جعلت الغرب يفكر ويخطط بدقة لإنهاء الحكم العربي الإسلامي خوفا من الانتعاش والرجوع إلى ما كانت عليه من قبل من ازدهار، حتى قيل سابقا: «إذا دقت الطبول في زنجبار رققت أفريقيا».

ولكن ومع هذه النهاية المحزنة المؤسفة فإن الأمل ما زال قائما في استرداد هذه الجزيرة وجهها العربي الإسلامي ورجوعها

إلى حاضرة العالم الإسلامي، وقد ترك الوجود العربي الإسلامي بصمات واضحة سنعرضها في الصفحات الآتية، كما أن حاضر الجزيرة ينبأ بمستقبل واعد من خلال العمل الإسلامي الموجود فيها حالياً سواء الأهلّي أو الخارجيّ، ولعلّ المحنة أيضاً لم تدم طويلاً حيث وبمقتل الرئيس الزنجباريّ (عبيد كرومي) 1972 في مقرّ الحزب الأفروشييرازيّ بزنجبار تنفس العرب الصعداء ثم تولى عبود جومبي رئاسة الوزراء والذي اشتهر بانحيازه لقضايا الإسلام والإقرار بفضل العرب، وبناءً على ذلك تمّ تمثين العلاقات بين بلاده و الدول العربيّة وخاصة المؤسسات الإسلاميّة فاتصل برابطة العالم الإسلامي ومنظمة الدعوة الإسلاميّة، وكان من ثمرة ذلك الاتصال عودة تعليم اللغة العربيّة إلى المدارس الحكوميّة وبمناهج حديثة ، وانتظام دروس التربية الإسلاميّة<sup>(82)</sup>

### **المخططات الاستعمارية في الجزيرة :**

الاستعمار الذي غزا الجزيرة منذ بدايات القرن الخامس عشر ميلادي انطلقاً من الحملات البرتغالية، مروراً بتكالب القوى الاستعمارية ممثلة في كل من إيطاليا وبريطانيا وفرنسا وأمريكا، وغيرهم، ما فتأ يبتكر الوسائل والخطط للسيطرة على هذه الجزيرة، والاستفادة من خيراتها وفصلها عن الكيان الإسلامي، ولعلنا تكلمنا في فصول سابقة عن الاستعمار البرتغالي وحملته الصليبية، ثم الاستعمار الألماني والبريطاني وإرساليتهم التبشيرية، مستفيدين من أخطاء البرتغاليين في استعمالهم القوة والعنف ضد السكان وحملهم على النصرانية بالقصر والقهر، فابتكرت وسائل فيها من اللين والحلم ما يشجع السكان على التنصر كما استخدمت المدارس والخدمات الصحيّة والاجتماعيّة كوسيلة

أخرى للتنصير، كما كانت ثورة 1964 والتآمر الأمريكي البريطاني مع القس جوليوس نيريري وجون اوكيلو واستغلال وخذع عبيد أماني كرومي نهاية الحلقة على الوجود العربي الاسلامي ومازالت حلقات هذه المؤامرة مستمرة إلى يومنا هذا للقضاء على كل ما هو اسلامي فيها وسلخها عن ماضيها العربي الاسلامي التليد جملة وتفصيلا، واتخذت هذه الحلقات مظاهر عدة.

### 1- التنصير :

تعود بدايات التنصير إلى الاستعمار البرتغالي والذي عمل كل ما في وسعه لغرس النصرانية واقتلاع جذور الاسلام من جزيرة زنجبار خصوصا وشرق افريقيا عموما إلا أن جهوده باءت بالفشل ومع بدايات الاتصال البريطاني بالجزيرة، تكثف النشاط التنصيري خاصة وأنه قوبل بتسامح كبير من سلاطين آل بو سعيد، حيث أنشئت في زنجبار ثلاث بعثات مسيحية وقد شيدت بعثة الجامعات التابعة لكنيسة إنجلترا الموفدة إلى وسط افريقيا (عام 1864) في منطقة مبوني (mbweni) مدرسة للمعلمين ومدرسة عليا وكاتدرائية، وقبل ذلك بحوال تسع سنوات أوجدت بعثة الأباء الروح القدس الأروام الكاثوليك (عام 1856)<sup>(83)</sup>.

بل إن تسامح الحكام البوسعديين تجاوز حدود الشريعة الاسلامية فإن بعثة الجامعات في منطقة بوني استطاعت تنفيذ أول تعميم علني لتسعة من الأطفال على مسمع ومرأى من حاكم زنجبار عام 1865 كما أن السيد سعيد بن سلطان لم يتوانى من قبل في تزويد المبشر (كرابف) بخطاب أمرا عماله في البر الأفريقي بتذليل الصعوبات أمامه جاء فيه (بعد السلام إلى كل أتباعنا، وأصدقائنا وأحبابنا كتب هذا الخطاب على شرف الدكتور كرابف وهو رجل طيب راغب في دعوة العالم لله<sup>(84)</sup> وكان ذلك

أول عام 1844م كما تشير بعض الروايات عن الجالية العربية أنه في عهد السلطان برغش ولما يؤس المنصرون من أهل زنجبار استقدم لهم السلطان برغش بعض العبيد من وسط إفريقيا للبدء بالتنصير معهم

ولعل هذه الجهود أنتجت ثمارا مرة المذاق في المجتمع المسلم في زنجبار كما حققت جهود المبشر وليام جورج بعض النجاح سيما وأنها اعتمدت الجانب الاقتصادي وإليك هذا الخطاب الذي كتبه لأخته يبين فيه إنجازاتهم حتى عام 1873 وهو العام الذي بنيت فيه أول كنيسة حيث قال : (في الوقت الحالي فإننا نكتفي بتحرير الرق وإنزالهم بمنطقة بوني على بعد أربعة أميال جنوب زنجبار، وأخذهم إلى كل من بغامويو وماساسي وإحلالهم في قرى مهيأة لاستقبال كل زوجين في منزل ومزرعة ثم تقدم لهم دروسا في المسيحية ويعمدون، أما الشباب في طور الدراسة فإنهم يعدّون لكي يصبحوا قساوسة، يعلمون الكتابة والقراءة والرياضيات واللغة السواحلية، أما الذين يظهرون مقدرة على الاستيعاب فإنهم يعلمون اللغة الانجليزية ليصبحوا معلمين وينخرطوا في سلك العمل الكنسي فيما يدرّب آخرون على المهن الحرفية كالتجارة والحدادة والحياكة،) (85) ولئن أثرت الحربان العالميتان على النشاط التنصيري فإنه بعد أن وضعت الحروب أوزارها عاد النشاط التنصيري إلى الساحة الإفريقية بشراسة وقوة حيث قدمت الأموال الطائلة وقدم المبشرون من أصقاع أوروبا وأمريكا وأستراليا إلى زنجبار وداخلية البر الإفريقي (دار السلام - دودما-طابورا عروشا) وغيرها من المدن وابتكرت وسائل حديثة لدعم عملية التنصير ففتحت المدارس والكليات والمستشفيات والمستوصفات وقدمت الخدمات الصحية

والتعليمية مجاناً وتوسعوا في بناء الكنائس والاسقفيات وفتحت فروع لهذه الكنائس والاسقفيات وكثر عدد الأتباع وقد أفاض المسيو بونة موري في تعداد ثمار التنصير في المنطقة قائلاً: ( إن عدد المتنصرين من المسلمين لا يكاد يذكر ، وأما بين الوثنيين فإن دعاة الإنجيل قاوموا عبادة ( الفتيش ) ومعناها عبادة الوثن وأصلحوا حال المرأة واجتهدوا في تعليم الزنجي وعلموا السود النظافة وقوانين حفظ الصحة ومرنوههم على الأشغال اليدوية والزراعة وأما من جهة المستشفيات وملاجئ المجذومين فحدث ولا حرج (86)

ولم ينكر الشيخ المغربي هذه الحقيقة المرة وناح باللائمة على العرب والمسلمين الذين انشغلوا بالتجارة والإنغماس في مظاهر الترف والرفاهية تاركين أولئك الوثنيين في داخلية البر الإفريقي للمنصرين فيقول في هذا الصدد (وقد غفل العرب خصلة من خصال المآثر الحميدة في اكتشافهم للبر الإفريقي وهو نشر الاسلام والعلوم بين جماعة الإفريقيين في داخلية البر الشاسع ، وأنه لو كان اهتمام العرب بانتشار الاسلام من أول رسوخ أقدامهم فيه لكان البر متنورا بنور الاسلام ولكان أفارقة ذلك الصقع كلهم مسلمين على الإطلاق ولم يجد المبشرون بالدين المسيحي مجالاً واسعاً في تنصر الإفريقيين ، ولكن اشتغل العرب بجمع المال وعظمة السلطان ) ( 87 )

وهذا اعتراف من رجل عربي مسلم من أعمدة الوجود العربي في جزيرة زنجبار وعضو المجلس التشريعي فيها والذي لانشك فيه أن هذا اقرار بواقع لا يمكن انكاره والتغاضي عنه مهما كان أليماً ، ولكن هذا الأمر لم يكن في بدايات الوجود العربي الإسلامي في المنطقة بل في أواخر أيام الوجود العربي الإسلامي وأثناء التفوق

الأروبي في مجالات العلم والصناعة والثقافة وليس أدل على ذلك من انتشار الاسلام في ربوع الجزيرة أولا والساحل الإفريقي بل والقارة جمعاء ليس إلا بجهود التجار المسلمين القادمين من عمان واليمن

ولعل هذا الجدول يبين لك أعداد النصارى حتى عام 1963. وذلك نتيجة لجهود المنصرين في الجزيرة والساحل والبر الإفريقي

المنطقة	تنجيقا الوسطى	تنجيقا الجنوبية	ماساسي	زنجبار	المجموع
عدد الأتباع	75.000	30.000	45.000	60.000	170.000

نسبة المسيحيين في احصاء عام 1967 م

المسيحيون	المسلمون	الوثنيون	آخرون
22%	76%	1%	1%

ولقد أعدت الكنيسة الكاثوليكية جدولا احصائيا معتمدة على احصاءات الأمم المتحدة والإحصاءات الرسمية وقد استشرفت الكنيسة المستقبل بتنامي أعداد النصارى عام 2000 لحد كونهم أغلبية مطلقة ولكن فإن الواقع كذب توقعاتهم وخيب آمالهم وإن كانوا مازالوا أصحاب قرار ونفوذ في أجهزة الدولة

	1970	1975	1980	المتوقع عام 2000 م
	النسبة	النسبة	النسبة	النسبة
المسلمون	31%	32%	32%	35%
المسيحيون	36%	44%	44%	52%

و يتجلى في هذه الإحصائيات الانحياز لقضايا النصارى وتهويل أعدادهم كي يتمكنوا من السيطرة على جميع الامتيازات كالوظائف والتعليم وغيرها (88) وإلا لو أمعنت النظر وبعملية حسابية فقد كانت نسبة المسلمين بحسب إحصاء عا و 1967 حوالي 76% والنصارى 22% وكانت هذه الزيادة بعد عصرهم الذهبي في ممارسة التنصير فكيف تقلصت نسبة المسلمين لتصبح 32% و 35% هذا إذا أخذنا في الاعتبار عدم تنصر المسلمين كما تفيد شهادات المفكرين الغربيين أنفسهم ومن جهة ثانية فإن نسبة الوثنيين والطوائف الأخرى بحسب الإحصاء نفسه لا يزيد عن 2% فمن أين لهم بهذه الأعداد الهائلة ؟، أما إذا أخذنا في الحسبان النمو الديموغرافي وازدياد السكان فإن المسلمين أيضا يزدادون ويتكاثرون بنفس الوتيرة بل وربما أكثر لهذا وإلى يومنا هذا فإن الإحصائيات الرسمية لاتشير إلى نسب المسلمين ولا النصارى .

فانظر حيث كان أغلبية سكان الجزيرة مسلمين عند قدوم ( كرابف ) ولم يجد كنيسة ولا أسقفية فبمرور مائة وعشرون سنة أصبح في زنجبار عدد كبير من الكنائس وعدد الأتباع يزيد عن عشرين ألف نصرانيا، كما أن النصارى الكاثوليك لما رأوا رياح التغيير هبت على العالم وأن افريقيا ستتحرر من ريقة الاستعمار لا محال سارعوا إلى أفرقة الكنيسة وأجهزة الدولة وأعدوا اتباعا لهم من الأفارقة لإدارة وقيادة العمل الكنسي والسياسي، ففي الإطار الكنسي أُعد القسيس (قامبوا) ليصبح كبير الأساقفة في تنزانيا، بينما أُعد القس (جوليوس نيريري) للمجال السياسي، وهو المعمد من قبل الأسقف (ماثياس جونين) في إرسالية انياقينا وانتخب رئيسا لرابطة تنجنيقا الافريقية وهو أحد الأحزاب الثلاثة التي

أنشأتها بريطانيا وبدعم من الكنيسة الكاثوليكية أصبحت الرابطة أقوى حزب، ثم تحول اسمها إلى الاتحاد الوطني التتجانيقي الأفريقي ومن ثم انتخب نيريري رئيسا للبلاد عام 1961 وسعى للاتحاد مع زنجبار عام 1964، حيث أقنع هذا الأخير (كرومي) بالوحدة بين البلدين بعد تغلغل أفراد حزب الرابطة في الحزب الأفروشيرازي في زنجبار وساعدهم في الانقلاب الدموي وهكذا دمج البلدان لتصبح دولة تنزانيا الاتحادية وكذلك تم دمج الحزبان ليصبح اسم الحزب الواحد (تانو) (tanu) ولقد أطلق نيريري اليد للتنصير والمنصرين في كل من تنجيقا وزنجبار وأبدى العداة لكل ما هو عربي وإسلامي إلى غاية عام 1968 حيث عقد المؤتمر الأول للحزب في أروشا، وقد حدد هذا المؤتمر الأهداف التي تسعى إليها الحزب من خلال المنهج الاشتراكي في التنمية والتعليم كما أفرز هذا المؤتمر خفة المولاة للمسيحية على حساب الإسلام (ظاهرا) ، ولكن كان ذلك بعد رسوخ قدم التنصير والنصرانية في تنزانيا وانتشار مؤسساتهم التبشيرية في ربوع البلاد كما كان لبروز الوسائل الحديثة من مراكز اتصال ومطابع ودور نشر للصحافة وإعلام ومحطات إذاعية والأنترنت حاليا وغيرها دورا في نشر المسيحية، أما في زنجبار فرغم الجهود المضنية والجبارة للمبشرين إلا أنهم لم يصلوا إلى النتائج المرجوة والتي كانوا يحلمون بها والمتمثلة في صيغ الجزيرة بالصبغة المسيحية من شاطئها الجنوبي إلى شاطئها الشمالي ومن شاطئها الشرقي إلى شاطئها الغربي وإن نجحوا في جعلها مركز انطلاقا، نتيجة للأمان الموجود في ربوعها ومن ثم الانطلاق إلى المناطق الأخرى، وأما عن خططهم اليوم فقد أعد تقرير من قبل جمعية مقاومة التنصير (جمعية محلية) رصد فيه وسائل التنصير الحديثة في زنجبار منها :



- 1- شراء الأراضي خارج المدينة وبناء الكنائس في الأرياف وإن لم يوجد بها مسيحيون ولما امتنع المسلمون عن بيع الأراضي لبناء الكنائس ابتكرت خدعة أخرى وهي شراء الأراضي لبناء البيوت ثم تتحول إلى كنائس، وأخيراً صدر قرار بعدم السماح بناء أي كنيسة إلا بطلب من السكان نتيجة لرفض السكان مراراً لبناء الكنائس.
- 2- بناء مدارس جديدة ومستشفيات ورياض الأطفال، حيث تقدم فيها خدمات ممتازة لجلب الناس إليها.
- 3- السعي لإيجاد محطة تلفزيونية وبث إذاعي للإنجيل والمواعظ الدينية.
- 4- محاولة إبراز أنفسهم كأقلية محرومة من حقوقها حتى ينالوا دعم الحكومة وبضغط من الهيئات والمنظمات الراعية لحقوق الأقليات وحقوق الإنسان.
- 5- التغلغل في الحكومة ودواليب الحكم والحزب الحاكم والإدارات وربط علاقات مع المسؤولين في الدولة ووجهاء البلد لإقصاء المسلمين عن مواطن التأثير وإثارة الدولة ضد المسلمين.
- 6- انشاء المقاهي والحانات والفنادق وتشجيع الرذيلة بين المسلمين.
- 7- تسهيل ترحيل وتهجير النصارى من البر التنزاني إلى زنجبار والإقامة فيها وخاصة بعد الوحدة.
- 8- التظاهر بالإسلام والزواج من مسلمات ثم تغيير عقيدتهن وعقيدة الأولاد حيث كان زواج النصراني من المسلمة سهلاً وممكناً بحجة علمانية الدولة ولكن مع تزايد الوعي الديني بين المسلمين منع ذلك.
- 9- انشاء مؤسسات المجتمع المدني والمؤسسات الغير حكومية والأحزاب السياسية.

10- المنظمات الخيرية الغربية والتي تدعم جهود التنصير وبشكل مباشر.

## II- السياحة :

لقد عرفت الجزيرة السياحة منذ زمن ليس باليسير وخاصة بعد تلك العلاقات الوطيدة مع كل من الدول الأوروبية وسلاطين زنجبار وكذلك كان لتلك الاتفاقيات والمعاهدات الأثر البالغ في انسياب السواح والمستثمرين الأوروبيين إلى هذه الجزيرة، كما أن جمال الجزيرة الخلاب وهواءها العليل وشواطئها الفاتنة يدعو كل من سمع بها أو قرأ عنها أن يزورها، ومن ثم فإن السياحة تعتبر من أكبر مصادر الدخل القومي لحكومة زنجبار ولقد سبق وذكرنا عدد السواح الذين يؤمّون زنجبار سنويا من خلال شبكة إسلام أون لاين ولكن الشيء المؤسف أن هؤلاء السواح يضربون بقيم المجتمع الزنجباري المسلم وثقافته عرض الحائط مستغلين تسامح أهل الجزيرة وهدوءهم وأدبهم مع الوافدين، حيث يظهرون بمظاهر غير أخلاقية، ابتداء من التعري وشرب الخمر إلى التحرشات الجنسية ولو كان ذلك على مسمع ومرأى من الناس مما أدى بدوره إلى انتشار الرذيلة وفشو الزنا والمسكرات وأدى ذلك بدوره إلى انتشار مرض الإيدز بنسب قليلة إلا أنها بدأت في الزيادة والارتفاع.

## III- الاستثمارات :

جزيرة زنجبار تتمتع بموارد طبيعية كبيرة وتعتبر مجالا رحبا للاستثمار ولعلنا في ثنايا بحثنا تناولنا بداية الاستثمار الأوروبي الأمريكي والذي هو سيد الموقف في هذه الجزيرة مقابل استثمار عربي هزيل ويرجع ذلك إلى المعاهدات التي أبرمت من قبل ومازالت هذه الدول تعتبرها ملزمة لحكومة زنجبار بل لعل المتغيرات المحلية والإقليمية والعالمية باتت تصب في مصلحة

الجانب الأوروبي، حيث ومن خلال حوار مع مدير الوكالة الوطنية للاستثمار بزنجبار ZIPA أفاد أن أول دولة مستثمرة هي بريطانيا ثم إيطاليا ثم الدانمارك ثم أمريكا أما الدول العربية فاستثماراتها في المنطقة ضعيفة . أما مجال الاستثمار فيأتي على رأسه (السياحة) وإنا نأمل أن تتوجه رؤوس الأموال العربية المسلمة إلى هذه الجزيرة بالاستثمار الذي يعود على سكان هذه الجزيرة المسلمة بالفائدة المادية والمعنوية دون أن يكون له مساس بالقيم الأخلاقية للمجتمع الزنجباري أو دعم الكنائس والتنصير، وهذا ما هو موجود فعلا الآن.

### **مظاهر التأثير بالحضارة العربية الاسلامية:**

لسائل أن يسأل لماذا جعلت مظاهر التأثير بالوجود الاسلامي في زنجبار آخر الكلام والأصل أن أقدمه.؟ فإن الوجود العربي الاسلامي المستمر بعد رحيل الانجليز مدة وإن كانت يسيرة وبعد الأحداث الأليمة وسيطرة التيار الاشتراكي بل الشيوعي على مقاليد الحكم أتى على كل ما يحمل الطابع الاسلامي العربي، للجواب على ذلك أقول : ( فقد أردت أن أجعل الحملة والمؤامرة على هذه الدولة في قلب المحيط الهندي ذبلا من ذبول الاستعمار البريطاني وفق سنة التدافع بين الأحزاب السياسية اليسارية واليمينية في المملكة المتحدة وغالبا ما ارتبط هؤلاء الثوار الشيوعيون في جزيرة زنجبار بقيادة الأحزاب الشيوعية في بريطانيا وبدول أوروبا الشرقية ذات التوجه الاشتراكي الشيوعي وبذلك أختتم الوجود العربي الاسلامي بآثاره الملموسة وبصماته الواضحة على شعوب المنطقة وحياتها السياسية والثقافية والاجتماعية.

**-1 الدين :**

كان أبرز مظهر من مظاهر التأثير بالحضارة الاسلامية انتشار الدين الاسلامي بين سكان شرق إفريقيا عموما وزنجبار خصوصا وتفضيله على المسيحية بالرغم من الجهود المبذولة والمشار إليها فيما سبق إلا أن الرجل الإفريقي أثر اعتناق الدين الاسلامي لبساطته ويسره وخلوه من التعقيدات الموجودة في المسيحية كما أرجع ذلك إلى عملية الانتشار والامتزاج بين المسلمين والسكان الأصليين ومهما اختلف تقديرات الإحصائيات حول نسبة المسلمين في تزانبا حاليا وزنجبار إلا أن الذي لا شك فيه لحظة أن الأغلبية الساحقة من سكان هذه الجزيرة مسلمين وبرغم من الجهود المضنية لتقليل نسبتهم من الجزيرة من خلال تهجير النصارى من دار السلام وغيرها من الأقاليم إلى زنجبار وتكثيف عملية التنصير بين المسلمين بل وتوطين القبائل الوثنية إلا أن الطابع العام للجزيرة هو الطابع الاسلامي بعقيدته الصافية وعبادته وقيمه ، وأخلاق الناس واضحة التأثير بالأخلاق الإسلامية كالصدق والأمان ولين الجانب والتسامح وعدم الغش خاصة في التجارة.

## 2- اللغة :

إن أثر اللغة العربية على اللغة السواحلية أجلى من الشمس في رابعة النهار وأدق من نور القمر في كبد السماء ليلة الرابع عشر حيث أن كثيرا من الكلمات السواحلية أصلها عربي، ولذلك فإن اللغة العربية مدت اللغة السواحلية بكثير من الكلمات والمصطلحات فالألفاظ العقود كلها عربية ثلاثيني، أربعيني ، خمسيني ... وكذلك المصطلحات الشرعية: صلاة، صوم، حج، زكاة، حراميشا (الحرام) حلايشا (حلال)، كافييري (كافر)، - سامحيني (سمحاني)، (نشكر سانا)، أشكرك كثيرا (أحسننت-سانا) احسننت كثيرا (نساعديا - ساعدني)، مرحيموا (المرحوم)، فاهموا

(فهمت)، (وزارة الصحة) يقال لها (وزارة يا عافية) السجل التجاري (سجلي يا بشارة) sigelewabechara.

تنظيم الجنازة من هذا المسجد (يقال بالسواحلية أوتراتيبيو و جنازة هبا هبا مسكيتني)، القهوة kahawa (البن) bouni، السكر sucari، وكانت تكتب اللغة السواحلية بالحرف العربي مما جعل المبشرين الذين قدموا إلى الجزيرة يكتبون العبارات التبشيرية باللغة العربية بحسب صورة تذكارية لمبشرين مع أطفال محليين وجدت في قصر العجائب (المتحف الوطني) كما حافظت اللغة العربية على وجودها كتابة عند شريحة كبيرة عند أبناء زنجبار وإن لم ينطقوا بها كما يجيدون قراءة القرآن والأحاديث النبوية الشريفة باللغة العربية ولعل الفضل يرجع في ذلك للمدارس القرآنية المنتشرة بكثرة في ربوع الجزيرة.

### 3- العادات والتقاليد والثقافة :

لقد أرخت الثقافة العربية بذيلها على الحياة الاجتماعية والعادات والتقاليد بالساحل الإفريقي سواء في المأكل والمشرب والملبس والحركة المعمارية وكذلك في المآثم والأعراس والولائم ولعل كان للدين الأثر الأكبر في طبع العادات والتقاليد بالطابع العربي بل حتى الموسيقى والفنون طبعت بالطابع العربي، حيث وأنت تسمع الموسيقى في زنجبار تخال نفسك أنك في اليمن أو عمان، أما الملبس لا يتعد أهل زنجبار عن لباس أهل عمان والمتمثل في الجلباب العماني والكوفية وأما لباس المرأة فعباءة سوداء ، وهناك لباس افريقي خاص يسمى boyboy وفي الجملة لا يخرج عن الزي الاسلامي.

## رجوع الجزيرة إلى ربوع العربية والإسلام.

رغم المخططات بعيدة المدى لطمس هوية زنجبار العربية الإسلامية فإنه سرعان ما تنفس المسلمون الصعداء بدأ ذلك بمقتل (عبيد أماني كرومي) واعتلاء (عبود جونيبي) ذو الميول الإسلامية كرسي الحكم في زنجبار ليعيد المياه إلى مجاريها الطبيعية بعض الشيء وبعده جاء لسدة الحكم علي حسن مويني والذي في عهده تم الاتصال ببعض المنظمات الاسلامية كرابطة العالم الاسلامي ومنظمة الدعوة الاسلامية وبدأ العمل الدؤوب لإرجاع الأمور إلى ما كانت عليه، حيث أعيد تدريس مادة التربية الاسلامية إلزاميا كما أصبحت اللغة العربية تدرس ابتداء من السنة الرابعة ابتدائي وحتى نهاية الدراسة فبادرت كل من منظمة الدعوة الاسلامية بالسودان والمنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة (ISSCO) إلى وضع مناهج اسمتها (العربية لزنجبار) وأشرفت على طباعتها ولعل هذه المناهج والكتب تتعرض بين الفترة والأخرى للتنقيح والتعديل بمشاركة بعض شيوخ وأساتذة زنجبار، ولئن انتصرت اللغة الانجليزية والثقافة الغربية على بعض مظاهر الثقافة العربية فإن الثقافة الاسلامية ما تزال صخرة صامدة في وجه كل المحاولات ويكمن ذلك في الاتجاهين الآتيين :

### 1- العمل الاسلامي المحلي :

كان للصراع بين المعسكرين الشرقي (الاتحاد السوفياتي) والغربي (الدول الأوروبية الغربية وأمريكا) وانتصار الثورة الإيرانية وما تلاه فيما بعد من سقوط المنظومة الشيوعية وانهارها في عقر دارها، وبروز الصحوة الاسلامية عالميا دورا بارزا في انتشار العمل الاسلامي في جزيرة زنجبار، كما كان لتلك البعثات إلى الخارج سواء إلى الدول الغربية وأمريكا أو الدول العربية كالمملكة

العربية السعودية والسودان أثر كبير في احتكاك شباب زنجبار بالثقافات الأخرى والأفكار الإسلامية ومن ثم نقل تلك التجارب إلى جزيرة زنجبار، كما لا ننكر دور الطرق الصوفية التي ترسخت منذ زمن بعيد في زنجبار في المحافظة على الهوية الإسلامية لمسلمي زنجبار.

حيث يوجد بالجزيرة عمل دعوي محلي متمثل في الجماعات الإسلامية بمختلف توجهاتها الفكرية والفقهية ولعل الظرف الذي مرت به الجزيرة في الستينات والسبعينات وحتى أواخر الثمانينات منع من ظهور أي تيار إسلامي سوى الطرق الصوفية بالقادرية و الدردناوية والشاذلية، وكان لها الفضل الكبير في الحفاظ على الهوية الإسلامية في زنجبار، ومع موجة التغيرات العالمية والسماح بالتعددية الحزبية والعمل الإسلامي برزت على الساحة عدة تيارات منها جماعة التبليغ والسلفية والإخوان المسلمين، كما نشط الإباضيون من جديد من خلال جمعية الاستقامة ولها جهود مشكورة في التعليم ونشر الثقافة وبعض الخدمات الإجتماعية، كما نشطت بقية الجماعات في انشاء جمعيات ونوادي طلابية في المؤسسات الحكومية ولا ننسى العمل الإسلامي الرسمي والمتمثل في مكتب المفتي والذي يعتبر الواجهة الرسمية للمسلمين في زنجبار حيث يعنى بالأهله وتنظيم الحج وغيرها من الشؤون الإسلامية وكذلك مكتب الأوقاف والشؤون الإسلامية ثم مكتب قاضي القضاة والذي يعنى بقضايا المسلمين في مجال الأحوال الشخصية والزكاة. ولا نغفل دور المعهد الإسلامي بزنجبار والذي تأسس عام 1953 وكان أول مدير له الشيخ محمود الدهان من جمهورية مصر العربية وبعد أحداث عام 1964م أغلق نهائيا واعد افتتاحه مطلع السبعينات ليمارس دورا رائدا في نشر



الثقافة العربية وإسلامية . ومشكورة وزارة الأوقاف في جمهورية مصر على جهودها الطيبة حيث توفد في كل فترة كوكبة من أساتذة الأزهر الشريف ليسهموا من جديد في إعادة النفس العربي والإسلامي للجزيرة المسلمة

### **المنظمات الخيرية الطوعية :**

عملا بسنة التوازن والتكامل في الكون ولما رآه المسلمون في دول الخليج العربي وغيرها من فقر مدقع وجهل مركب ومرض فتاك يحيق بالمسلمين في افريقيا عموما وزنجبار خصوصا أنشأت لجان خيرية وجمعيات طوعية من باب نصرة المسلمين فجاءت لجنة مسلمي افريقيا ومؤسسة الحرمين الشريفين ومنظمة الدعوة الاسلامية ودار الإيمان بجدة وهيئة الإغاثة العالمية، لترفع الغبن والفقر عن هذه المجتمعات ففتحت لها مكاتب وفروع، ومن أهم منجزاتها كفالة الأيتام وحفر الآبار وبناء المستوصفات والمستشفيات والمدارس والمساجد وكفالة الدعوة، ثم انتبعت لخطر داهم وهو حرمان المسلمين من التعليم الجامعي وبذلك عدم تمكنهم من التغلغل في مرافق الدولة التي يسيطر عليها العلمانيون والنصارى ففتحت جامعات وكليات جامعية كجامعة زنجبار وكلية التربية بمختلف التخصصات العصرية وذلك لتمكين المسلمين من مواكبة العصر ومعايشة الواقع. وقد بدأت ثمار هذه الجامعات تأتي أكلها بإذن الله تعالى .

**العوائق والأمال :** هناك عوائق عدة تعترض العمل الاسلامي في زنجبار سواء المحلي أو الطوعي الخيري الخارجي.

### **عوائق العمل المحلي :**

1- الفرقة بين المسلمين وعدم التعاون فيما بينهم.

2- عدم وجود الكفاءات والطاقات البشرية.

-3 الفقر وعدم وجود الموارد المالية الكافية لتنفيذ المشاريع الدعوية.

-4 الحزبات النفسية اتجاه كل ما هو عربي عند بعض العاملين وذلك نتيجة تشوه صورة الرجل العربي في ذهنية الرجل الزنجباري وهي المؤامرة التي حاكها الاستعمار الغربي.

-5 الاستعجال وتبني خيار العنف واستراتيجية المواجهة عند بعض العاملين ولعل هذا العائق أخطر العوائق جميعاً لأن نتائجه وخيمة على المجتمع ككل وعلى الدعوة الإسلامية بشكل أخص

### **عوائق العمل الخيري الطوعي :**

-1 عدم كفاءة العاملين بهذه اللجان بالقدر الذي يوجد عند العاملين بالمؤسسات التنصيرية خاصة في الأمور الإدارية.

-2 عدم وجود تخطيط سليم عند بعض القائمين على هذه المؤسسات مما يؤدي إلى تبذير الأموال وتبديد الجهود.

-3 الاستعجال والتهور عند بعض العاملين في المؤسسات مما يؤدي إلى غلقها

-4 عدم خضوعها إلى قوانين البلد العاملة فيه مما يسبب لها اشكالات قانونية

-5 عدم التعاون بين هذه المؤسسات بالقدر الكافي حيث يؤدي ذلك إلى تكرير ما تقوم به مؤسسات أخرى وعدم الإنطلاق في فضاءات معاصرة وتلمس حاجات المسلمين في مجالات أخرى.

-6 وهو ثلاثة الأثافي -كما يقال- وهي الحملة الشرسة التي تبنتها الولايات المتحدة الأمريكية ضد كل عمل طوعي خيري

باسم مكافحة الإرهاب وتجفيف منابعه، ولا شك أن ذلك ترك انعكاسات ونتائج سيئة على صعيد العمل الطوعي.

7- العلاقات الاسرائيلية الافريقية حيث تعتبر هذه العلاقات حجر عثر في وجه المد الاسلامي، إذ أن اسرائيل تسعى لإيجاد أنظمة قابلة لوجودها في أوغندا في حالة عدم نجاحها في تكوين دولة في فلسطين، حيث سيلجأ اليهود إلى أوغندا الوطن الذي اقترحت عليهم من قبل عصبة الأمم آنذاك (1916). ومن جهة أخرى ايجاد حلفاء سياسيين وايجاد أسواق لترويج منتجاتها التي كانت في يوم ما تعاني من كساد نتيجة الحصار وفي الوقت ذاته تتحقق لها السيطرة على منابع النيل والبحيرات والممرات المائية في المحيط الهندي .

### الآمال:

وخلاصة القول فإنه بالرغم من هذه العوائق فإن الأمل كبير وكبير جدا لرجوع هذه الجزيرة إلى ربوع العروبة والإسلام متجاوزة أخطاء الآخرين وأحقاد الماضي سيما إذا نظرنا إلى المعطيات الكثيرة كوقوف هؤلاء المسلمين في زنجبار مع قضايا الأمة العادلة كقضية فلسطين والعراق وغيرها ورجوع اللغة العربية محادثة وفهما وكتابة في أوساط قطاعات كبيرة من الزنجباريين وإقبالهم على تعلمها في كل مؤسسة تعليمية تعنى باللغة العربية ككلية التربية أو المعهد الإسلامي وحلقات العلم المنتشرة بالمساجد في زنجبار المدينة أو بالقرى والثورة الهائلة في قطاع التعليم العالي حيث أنشئت جامعة زنجبار القومية وهي حكومية وهناك جامعة إيرانية مفتوحة على طريق الإنشاء والإنجاز وكل هذه الروافد العلمية والأكاديمية ترفع من مستوى المسلمين في هذه الجزيرة علميا وثقافيا تجعلهم في مستوى التحدي الثقافي الذين يعيشونه تعليمية وكذلك ظهور الصحوة الإسلامية بين أبناء المنطقة وسقوط القناع عن الأنظمة الغربية والمشروع الصهيوني الأمريكي كل هذا يصب في خانة الأمل. وهناك عامل آخر جعلني أتفاءل جدا بمستقبل الإسلام الواعد في الجزيرة وهو تصريح

لمبشر انكليزي التقيت به في مطار نيروبي عام 2004 وأنا في طريق إلى القاهرة ثم الجزائر لقضاء العطلة السنوية حيث جمعنا الله على مائدة العشاء في مطعم الترانزيت وبعد حوار وكلام ودي أخبرني أنه مبشر وقد جاب أقطار أفريقية الشرقية والوسطى والجنوبية داعيا إلى الدين المسيحي وأخيرا سألته ببراءة تامة وهل زرت زنجبار؟ فقال : بالحرف الواحد لا، فأهلها لا يحبوننا وهم متدينون جدا فعلت محياي بسمة عريضة وانتابني شعور بالغبطة والرضا و الطمأنينة . وفي خاتمة هذا البحث فإننا ندق ناقوس الخطر ونهمس في آذان الغيورين من حكام هذه الأمة وأغنيائها وعلماؤها أن يتوجهوا أكثر لهذه الجزيرة بتبني مشاريع الخير ودعم أهلها دعما مطلقا وفي كل المجالات وتوجيه استثماراتهم لهذه الجزيرة واحتضان القائمين على شؤون الناس من السياسيين حتى لا يترتموا في أحضان الغرب .

**وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله**

**وصحبه أجمعين**

## الهوامش

- 1- المقدمة / عبد الرحمن بن خلدون / ص 4
- 2- صدام الحضارات: ص 2 / د عبد المرزاق مقرئ / طبعة الأولى دار الخلدونية عام 2004
- 3- قصة الحضارة ول ديورانت ج 1، ص 13.
- 4- الجذور التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية: يوسف فضل حسن: ندوة العرب وإفريقيا، منشورات مركز الدراسات الوحدة العربية ص 127. الطبعة الثانية عام 1987
- 5- نقلًا عن المؤثرات العربية في الثقافة السواحلية في شرق إفريقيا د/ السيد حامد حريز/ ص (10) الطبعة الأولى دار الجيل عام 1988
- 6- تحفة الأعيان بسير أهل عمان/ الشيخ نورالدين عبد الله بن حميد السالمي/ ص (72-73)، مكتبة الاستقامة 1979. طبعة الأولى عام 1997
- 7- المؤثرات الإسلامية والمسيحية كل الثقافة السواحلية، د. عبد الرحمن أحمد عثمان، ص 78، دار جامعة إفريقيا. الطبعة الأولى عام 2000
- 8- الإسلام في شرق إفريقيا سينسر ترمنجهام، ترجمة محمد عاطف النواوي ص 53 وما بعدها، ط 1.
- 9- حاضر العالم الإسلامي: الأثروا باستودارد الأمريكي، تعليق الأمير شكيب أرسلان، ج 3، ص 73، دار الفكر العربي.
- 10- جبهة الأخبار في تاريخ زنجبار، سعيد بن علي المغيري، ص 73، ط وزارة التراث القومي والثقافة. 1988
- 11- معجم البلدان يقوت الحموي، ج 5، ص 23، ط: دار الكتاب.

- 12- تحفة الأعيان بسير أهل عمان، عبد الله بن حميد السالمي، ص 72.
- 13- الإسلام في شرق إفريقيا سبنسر ترمنجهام، ص 73.  
ترجمة عاطف نوي
- 14- المؤثرات العربية في الثقافة السواحلية في شرق إفريقيا، سيد حامد حريز.
- 15- حاضر العالم الاسلامي، شكيب أرسلان، ج 3، ص 129-170.
- 16- جهينة الأخبار (المغيري)، ص 261.
- 17- الإسلام واليمانين الحضارم في شرق إفريقيا: عبد القادر بن عبد الرحمان الجنيد، مذكرات لم تطبع طبعة طبعة نهائية ص 16.
- 18- المؤثرات المسيحية على الثقافة السواحلية، د. عبد الرحمان عثمان، ص 39.
- 19- اليمانين الحضارم والاسلام في شرق إفريقيا، عبد القادر الجنيد.
- 20- السلوة في أخبار كلوة، الشيخ محي الدين القحطاني، ص 29، تحقيق محمد علي الصليبي، وزارة التراث القومي، سلطنة عمان. طبعة الأولى عام 1988
- 21- السلوة في أخبار كلوة / المؤلف مجهول / طبعة وزارة الثقافة والتراث عمان.
- 22- مروج الذهب المسعودي ج 4 ص 17 طبعة
- 23- الاسلام في شرق إفريقيا / سبنسر ترمنجهام ص 40
- 24- نفس المرجع، ص 40.
- 25- جهينة الأخبار، (تاريخ زنجبار)، ص 128 وما بعدها.

- 26- المرجع نفسه، ص 130.
- 27- المؤثرات الاسلامية والمسيحية على الثقافة السواحلية / عبد الرحمن أحمد عثمان / ص 204 وما بعدها.
- 28- أرنولد تويمبي، مختصر دراسة التاريخ- ترجمة لجنة التأليف الشركات مع الدول العربية، ج 12، ص 347.
- 29- جهينة الأخبار (المغيري) ص 114.
- 30- المؤثرات الاسلامية والمسيحية على الثقافة والسواحلية / د عبد الرحمن أحمد .
- 31- جهينة الأخبار / الشيخ المغيري / ص 186.
- 32- جهينة الأخبار، المغيري، ص 185.
- 33- المؤثرات الاسلامية والمسيحية على الثقافة السواحلية / د عبد الرحمن أحمد ص / 207
- 34- الاسلام في شرق افريقيا، سبنسر ترمنجهام، ص 54 وما بعدها.
- 35- المؤثرات الاسلامية والمسيحية على الثقافة السواحلية، عبد الرحمان أحمد عثمان، ص 207. والاسلام في شرق افريقيا / سبنسر ترمنجهام / ص 54
- 36- تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، ج 2، ص 106، العلامة الشيخ نورالدين عبد الله بن السالمي تحقيق أبي اسحاق ابراهيم أطفيش.
- 37- جهينة الأخبار، المغيري، ص 192.
- 38- تقسيم الامبراطورية العمانية، د. سلطان بن محمد القاسمي، ص 17 وما بعدها. الطبعة الأولى
- 39- جهينة الأخبار، المغيري، ص 199.

- 40- تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، عبد الله بن حميد السالمي، ج 2، ص 03.
- 41- جهيئة الأخبار، المغيري، ص 199 وما بعدها.
- 42- تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، ج 2، ص 60.
- 43- جهيئة الأخبار، المغيري، ص 207.
- 44- تحفة الأعيان السالمي، ج 2، ص 172.
- 45- نفس المرجع، ص 183.
- 46- جهيئة الأخبار، المغيري، ص 209 وما بعدها.
- 47- جهيئة الأخبار، المغيري، ص 263.
- 48- نفس المرجع، ص 263.
- 49- نفس المرجع، ص 263.
- 50- نفس المرجع، ص 265.
- 51- نفس المرجع، ص 234.
- 52- نفس المرجع، ص 233.
- 53- نفس المرجع ص 233
- 54- نفس المرجع ص 234
- 55- نفس المرجع، ص 192.
- 56- جهيئة الأخبار، المغيري، ص 195.
- 57- تقسيم الأمبراطورية العمانية / د سلطان القاسمي ص/58 سلطنة في نيويورك / هرمان فريدريك ابلنس / ترجمة ونشر وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان عام 1989
- 58- جهيئة الأخبار / المغيري ص 271.
- 59- جهيئة الأخبار، المغيري، ص 261 وما بعدها.
- 60\_ سلطنة في نيويورك / هرمان فريدريك ابلنس ص 38 / 39
- 60- تحفة الأعيان، السالمي، ج 2، ص 160.



- 61- جهيئة الأخبار، المغيري، ص 207، نفس المرجع.
- 62- جهيئة الاخبار / المغيري ص 215.
- 63- جهيئة الأخبار، المغيري، ص 258.
- 64- نفس المرجع ص / 258.
- 65- نفس المرجع، ص 258 وما بعدها .
- 66- جهيئة الأخبار، المغيري، ص 259 وما بعدها.
- جهيئة الأخبار، ص 235 وما بعد -67
- 68- نفس المرجع، ص 252.
- 69- حاضر العالم الاسلامي تعليق شكيب أرسلان ج 3 / ص  
/ 114
- 70- البوسعيديون حكام زنجبار / الشيخ عبد الله الفارسي ص  
87 طبعة وزارة التراث القومي والثقافة عمان عام 1988
- 71- وكالة اسلام اونلاين / الصفحة السياسية مقال بتاريخ
- 72- الاسلام في شرق افريقيا / سبنسر ترمنجهام ص 114.
- 73- جهيئة الأخبار / المغيري / ص 183 وما بعدها .
- 74- جريدة الفلق العدد ( 13 ) سنة 1946 وكانت تصدر باسم  
الجمعية العربية في زنجبار
- 75- راجع تفاصيل الموضوع في حصاد ندوة العلاقات المصرية  
العمانية ج 3 ص 236 طبعة وزارة الثقافة والتراث القومي  
عمان
- 76- نفس المرجع، ص 366. وكذا تنزيه الأبصار والأفكار في  
رحلة سلطان زنجبار جمعه زاهر بن سعيد -رتبه وصوبه لويس  
صابونجي مطابع سجل العرب عام 1981
- 77- Zanzibar:backgroundtorevolution -by michel -f- lofchie

- 78- جهينة الأخبار / المغيري ص 480
- 79- العرب وافريقيا مجموعة بحوث المتي القيت في الندوة المنعقدة بالأردن  
البوسعيديون، حكام زنجبار، عبد الله بن صالح الفارسي، ص  
87. طبعة وزارة الثقافة والتراث العماني 1988
- 80- Zanzibar:bagKroundtorevolution-by michel -f- lofchie –  
p274
- 81- وكالة الاسلام أونلاين للأخبار، صفحة السياسة.
- 82- المؤثرات الإسلامية والمسيحية على الثقافة السواحيلية د/  
عبد الرحمن عثمان ص/ 162 وما بعدها
- 83- دائرة المعارف الإسلامية ج 10 ص 429 أصدرها بالعربية  
أحمد الشيناوي ابراهيم زكي
- 84- المؤثرات المسيحية والإسلامية على الثقافة السواحيلية  
ص 214
- 85- نفس المرجع نفس الصفحة
- 86- حاضر العالم الإسلامي / شكيب ارسلان ج 3 ص 114
- 87- جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار / سعيد المغيري ص 248
- 88- المؤثرات المسيحية والإسلامية على الثقافة السواحيلية  
ص-263
- 89- المؤثرات المسيحية والإسلامية / عبد الرحمن عثمان ص  
.214